

تصدير

فى تصدير العدد الماضى من هذه المجلة أثرنا قضية ثقافة الطفل بمناسبة السنة العالمية للطفولة . وتساءلنا فى خاتمة تلك « الاشارة » عن مسؤولية الكاتب العربى باعتباره من ذوى المسؤولية فى الدرجة الاولى عما نقدمه لطفلتنا العربى من أدب وثقافة . وقلنا اذذاك ان الكاتب العربى ليس مسؤولا وحده لان الانتاج الناجز لا يشمل وحده بل يتجاوز الى الناشر وصاحب رأس المال كذلك ، بل والى الحكومات والوزارات المسؤولة أيضا ، ذلك أننا نعتبر أن تلك الحكومات والوزارات مسؤولة عن النهوض بالانسان العربى والخروج به مما هو فيه الى ما هو أحسن ، وأكثر تطوراً ، وأن تلك المسؤولية – اذا نظرنا اليها موضوعياً – تبرز درجتها الاولى فى العناية بالطفل العربى ، رجل الغد ، غد الوحدة التى ندعو اليها . ولعل مسؤولية هذه وتلك تزداد ثقلاً بهذه النظرة التى ذكرنا .

واذا تركنا – جانباً – الناحية المادية الصرف فان علينا فى نطاق تلك المسؤولية أن نغير اهتمامنا ومفهومنا التثقيفى ، ونطور تقديرنا وتقييمنا لما نستهلكه حساً ومعنى أى لما نقدمه لاطفالنا حتى يستهلكوه ويستفوا به . اننا نكاد نهتم بأجسامهم لا بأذهانهم ، وببطونهم لا بعقولهم ، ترانا نفكر فى الماكل ونفاخر باقتنائهم ونبدل فى سبيله ، بينما ترانا نقدر الحساب ، ونوازن القيمة عندما نفكر فى اقتناء ما يغذى عقول اولائك الاطفال . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا :

ان ما يقدم من حلوليات لهم يفوق بكثير ما قد تقدمه لهم من ادوات تثقيف ومطالعة هذا عدا الامور الاساسية الاخرى . ومرد ذلك « العيب » فيما نحسب الى تقدير احوال اذ لم يكن استهلاك الماكول كاستهلاك المقروء فالاول يؤدي وظيفته وتنعدم ذاته اذا عدت اليه لم تجده قصد أن يفيدك أكثر أو أقل مما أفادك بينما استهلاك المقروء لا تعلم ذاته ، ولا تزول فائدته . وفارق آخر قد لا ننتبه اليه في التقييم والتثمين هو محدودية نفع الماكول في انعدام ذاته عند استهلاكه بينما المقروء يبقى مفتوح الباب لكل داخل ، باسط اليد لكل مصافح ، رجب الصدر لكل مقبل . ومن هذه الزاوية علينا أن ننظر الى اداة تثقيف الطفل لا سيما الاداة المقروءة ، نظرة جديدة حكيمة لا تعتمد قاعدة « الذى هو ادنى بالذى هو خير .. » . وذلك شئ لا يتوقف على طاقة الكاتب فى الابداع والانتاج بل يتوقف على ارادة مسؤولين آخرين لهم مع المجتمع رباط أشد ، وميدان أوسع ، ومسؤولية أعظم .

قصص

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أحمد

مُوسَى يَفْتَا لِنَهْرٍ

يقف الرجل مواجهاً للنهر ثم يرفع عصاه ويهوى بها على صفحته . يكون الرجل يفكر أن موسى الذى شق البحر فى يوم ما بعصاه ليس أكثر من انسان لذلك يمكنه هو الرجل أن يشق النهر بعصاه . يعيد الرجل رفع يده ويكون النهر كما اعتاد عندما يفلقه هدوءه يتدد من ضفته الى الأخرى ومن مجراه الى البحر . يعيد الرجل حركة عصاه التى تشق صفحة النهر عند ضفته ويكون النهر ما زال محافظاً على هدوئه .

يأتى الرجل كل صباح يقف مواجهاً للنهر . يفكر الرجل فى موسى ذلك الرجل الانسان الذى شق صفحة البحر . قد يكون موسى شق صفحة النهر أيضاً ؟ ... يرفع الرجل عصاه وتكرر الحركة الى أن تثقل يد الرجل ويضعف بصره ويحس بالوهن .. تكون الشعرات البيضاء قد بدأت تنتشر على رأس الرجل عندما يعيد تلك الحركة للمرة المتعددة جداً .. يكون الرجل قد ازداد اقتناعاً أن موسى قد رفع عصاه فى يوم ما لكى يشق صفحة البحر وبذلك فتح طريقاً لنفسه وللآخرين .

يأتى الرجل يقف مواجهاً للنهر : يرفع الرجل عصاه .. يأتى النهر غاضباً مزمجرأ يرتفع من ضفته الى الأخرى ومن مجراه الى البحر . يشق النهر لنفسه طريقاً فى حياة الرجل .

يفيب الرجل وتغيب عصاه ويبقى النهر هو النهر .

يقف الرجل مواجهاً للنهر ثم يرفع الرجل مطرقته يكسر بها الحجارة .
يكون الرجل يفكر أن موسى قد أوقف النهر في يوم بعصاه لكي يجعل منه
سداً بينه وبين أعدائه . يرفع الرجل السد حجارة وعرقاً .. يكون النهر ممتداً
من ضفته إلى الأخرى ويجرى من بدايته إلى السد .. يعتقد الرجل أن النهر
ما زال محافظاً على هدوئه ..

يقف الرجل عند السد مواجهاً للنهر معجباً ببناؤه الذي يقيد النهر . يكون
الرجل ينظر إلى صفحة النهر وهي ترتفع مع السد وهي تمتد من الضفة إلى
الأخرى . وهي تعكس الهدوء في أفكار الرجل .

يأتي النهر غاضباً مزجراً يرتفع غليانه مع ارتفاع صفحته .. يشق النهر
لنفسه طريقاً في بناء الرجل ويفيب الرجل وتغيب معه مطرقته . يبقى النهر
هو النهر كما اعتاد أن يكون دائماً عندما يفلقه هدوؤه .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يأتي الرجل ويقف عند ضفة النهر ويرفع عصاه لكي يشق صفحة النهر
ويكرر حركته تلك إلى أن يفضب النهر فيحتويه وعصاه .. ثم يأتي الرجل
فيحس النهر وراء السد الذي يرفعه إلى أن يتمطى النهر فيغيب الرجل
والسد ...

عندما يأتي الرجل لكي يبني مصنعا بجانب النهر يكون قد وضع مضخة
يفيب أسفلها تحت صفحة النهر . تمتص مضخة الرجل مياه النهر الذي يبقى
محافظاً على هدوئه .. تغيب مياه النهر في جوف مصنع الرجل لكي يقذفها بعد
ذلك صدئة خثرة ساخنة .. يكون النهر ما زال ممتداً من ضفته إلى الأخرى
ومن مجراه إلى البحر . عند مصنع الرجل يتقسم النهر إلى قسمين ينطلق من
بدايته إلى مصنع الرجل كما اعتاد أن يكون دائماً محافظاً على هدوئه بصفحته
الخضراء وبضفته تظللها الأشجار ونهر ينطلق من مصنع الرجل إلى البحر

بصفحة صدئة خثرة ساخنة لا يظللها اى شىء على الجانبين . عند هذا الحد يفقد النهر اسمه .

يأتى الرجل مرة أخرى . يقف الرجل عند الضفة . يضع الرجل مضخة أخرى بجانب الاخرى ويرفع مصنعا آخر . ترتفع مياه النهر الى أحشاء المصنع لكى تعود اليه بعد ذلك صدئة رمادية لزجة حرة .. يتآكل النهر ابتداءً من نهايته فى اتجاه منبعه لكى يتقلص لون صفحته ويتحول الى لون رمادى صدى .

تمتد مضخات الرجل من اسفل النهر الى منبعه بجانب كل المصانع التى تظلل ضفتى النهر ، عندما يأتى الرجل لكى يضع المضخة الاخيرة وعندما تمتص المضخة الاخيرة مياه النهر يكتشف الرجل ان النهر قد مات .

يصدر الرجل اعلانا فى الجرائد : « المطلوب موسى بعصا تعيد النهر نهرا ... » .

احمد ممو

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

تونس فى 16 / 7 / 78

اعمدة من دخان

تأليف : نافلة ذهب

نشر : شركة صفاء للنشر والتوزيع والصحافة

السعر : 700 مليم تونسى

حواشٍ حوشيةٌ على حادثةٍ وحشية

انتبه الى نفسه والى الطريق ، فانغمس في غيبوبة اخرى . كم مرة سلكت هذا الطريق ؟ لست أدري . والمحتمل انها اول مرة . وهذه هي الدائرة لا ظل للشمس فيها . كتلة من الماء الاسود لا أثر للحركة فيها . تناول حصاة وقذف بها في الكتلة المسودة ليتأكد من جمود الماء وانعدام ظل الشمس فيها ، فغاصت الحصاة ولم تحدث صوتاً ولم يتحرك الماء ، زاد أن يجرب ليتأكد من وجود الماء ، ففكر في أن يبول على الماء الراكد ، ولكنه فكر في امكانية وجود عفريت غائر في الكتلة المسودة قد يجذبه من بوله فيسقط في البركة .

يقول أهل القرية : ان هذه البركة كانت ذات يوم عينا عينا جارية . وقد يكون لديهم العلم بسبب تجمدها . يقال انها كانت عينا . كانت صافية . يقال : إنها كانت جميلة ، ويقال أيضا : ان جملا قد برك فيها . قد يكون برك لان المسير أتعبه . وقد يكون برك لانه كان عاجزا عن مواصلة السير لضعف متأصل فيه . وقد يكون الجمّل قد برك لان سائقه أعمش أو أعمى ، وقد يكون كان مجنوناً ... يقول القرويون : ان العين كانت صافية جميلة يستقون منها وتستقي شعاشيط النخل عندما كانت مخضرة وعندما كانت تحلم بالحياة حتى جاء الجمّل المتعب وسائقه المريض فبرك في مندق الماء ، وقد أيبسه العطش ، فانسد مندق الماء وغرق الجمّل وفر سائقه واندرس في ثقب مهترى من الارض المحيطة بالعين واعتزل الجمّل والناس والعين والطريق وظل الشمس وزرقة الماء . انفصل السائق الهارب عن العالم منذ انسد مندق الماء ... والجمّل كان

القرية ولا يزال . والعين كانت للقرية ولا تزال . فهم أبناء الجمل وهم أهل الجمل ، او هم أبناء ذنب الجمل وهم أصحاب العين . هم أصحاب العين الرمضاء العمشاء الراكدة . ولكنهم ما انفكوا ينكرون نسبة السائق الى قريتهم . يقولون : الصدفة هي التي دفعت بهذا السائق الى سوق الجمل ، والصدفة هي التي دفعت بالجمل في العين ، والصدفة هي التي دفعت بالسائق الى أن يكون من القرية . وان يسافر في الصحراء ، وان يجلب لاهل القرية طحيناً مسوساً أوروبافيكاً قد تكون ، وقد تكون ، وقد تكون ؛ فأهل القرية لا يعرفون متى تبرزغ الشمس ولا متى تغيب ، بعد غرق الجمل وانسداد مندق الماء واسوداد الماء . حتى ركد الماء في العين تعفا حين برك الجمل وفر الهارب ، حين تفتنوا الى انهم مذنبون .

قال : تلك أفكار . ثم جلس يفكر في الامر الذي دفعه الى هذا المكان . لم يجد سبباً معقولاً ، أو لعله نسي . قال : كل ما في الامر أنني حلمت بما يجري ، وحلمت بما العين يجري . ولم يتذكر متى كان ذلك . ثم صمت صمتاً . ثم اختار مكاناً يبدو نظيفاً ، ثم تفرص ماذا ذراعيه أمامه . قال : لماذا لا أكون نبياً فأحيي العين بعد موتها ؟ قال : من أين لي بذلك ؟ قال : استمد قوتي من هذه السبخة الحرساء . وفتح فمه مرة أخرى ليتكلم ، لكنه صمت صمتاً . اذ نظر الى يمينه متحسناً ، فوجد رجلاً ، غلى ظهره مخللة ، يقف بجانبه ويحدق فيه . فكر : هو بلا شك أحد الرعاة قد ساقه العطش الى هذا المكان ، أو الجوع ، أو الخوف ، أو البحث عن ظل الشمس ، أو البحث عن الجمل الذي كان قد غرق في هذه البركة ...

سأله : ما حاجتك ؟ أجاب : ابحث عنه . سأله : عن ؟ فلم يجبه ، بل نظر الى هوة يبدو أنها كانت مندق الماء ، ثم انحنى أكثر محدقاً في الهوة ، ثم شهق وارتمى في الماء متدلية مخللاته في الهواء مثقوبة مشقوقة لا زاد فيها . وغاص في الماء كما غاصت الحصاة ولم يحدث صوتاً . أراد أن يتسائل . لكنه رأى على يساره امرأة . فسألها : ما حاجتك ؟ أجابته : ابحث عنه . سألها : عن ؟ فلم تجبه ، بل حدقت في هوة يبدو أنها كانت مندق الماء . ثم انحنى أكثر ، ثم تأوحت ، ثم ارتمت في الماء ، ثم ذابت كما ذابت الحصاة دون أن تحدث صوتاً . ولم تردد دهشة المتفرص . فقد انتصب على يمينه رجل أعرج ، في يده مسبحة من عاج ، يبحث بعينه داخل الماء . سأله : ما حاجتك ؟ أجابه : ابحث

عنه . سألته : عمن ؟ قال : عنه . ثم غاصت رجله اليسرى في الماء ثم أتبعها رجله اليمنى الصحيحة ثم غاص كله دون أن يحدث صوتا . ثم أراد العجب أن يأخذ بالجالس ، ولكنه لم يجد لذلك وقتا ، فقد باغته وجود امرأة قصيرة القامة ، قصيرة الشعر ، قصيرة اللباس ، قصيرة الأنف ، قصيرة النظر ، تنظر في مندفق الماء . سألها : مالك ؟ قالت : أبحث عنه . قال : عمن ؟ قالت : عنه . ثم ارتمت في الهواء ، ثم اتصلبت في الماء كأنها هاوية من نخلة عالية على ضفة العين .

أمعن النظر في الكتلة السوداء أمامه . فلم ير لظل الشمس أثرا ، ولا للحركة أثرا ، ولا لأثر أثرا .

لم يندمش الجالس على الضفة لعدم تحرك الماء . فقد بدأ يشعر أنه يتذكر . قال : أجم ! كان ذلك ذات صباح . في حديقة مبنى كبير ، حول طاولة قد تكون كانت مستديرة ، وقد تكون كانت مربعة ، وقد تكون ، وقد تكون ، وقد تكون . رجل وامرأة يجلسان إلى الطاولة . التفت الجالس إلى الطاولة ، التفت إلى الضفة . رأى الرجل الجالس إلى الطاولة شخصا مقبلا عليه ، شع من عينيه بريق أزرق شديد السواد كأنه بركة قد برك في مندفق مائها جمل فانسد واسود الماء . عرف الرجل الجالس إلى الطاولة المقبل عليه . وعرفته المرأة . سألته : ما حاجتك ؟ أجابه : أبحث عنك .

كان ذلك ذات صباح ، أو ذات قيلولة ، أمام مبنى كبير أو على ضفة مسبح ذي ماء متحرك قد انعكست عليه الشمس بظلالها الوارفة ، وأزرق وصفا ، يحلم بجمل يكرع منه أو تفوص فيه أرجله . تساءلت المرأة : لماذا يبحث عنك ؟ ثم غاصت عينها في عيني زرقاوين في رأس الوافد عليهما . قالت : قال إنه يبحث عنك . ثم ارتمت في هوة ، في عين زرقاء ، دون أن تحدث صوتا أو يتحرك الماء . ثم قام الجالس إلى الطاولة مع الشخص المقبل عليه يبحث عنه . ثم قام الجالس على الضفة .

أجل . قمت . وكان ذلك ذات صباح أو ذات قيلولة ، في حديقة نزل أو على ضفة بركة كانت عينا جارية زرقاء صافية حوراء دعجاء يغوص فيها الوهم فلا يجد مستقرا ولا يشعر براحة . على ضفة بركة جامدة تجلس امرأة إلى الطاولة وحيدة . تأملت الماء الراكد . وباغتني سؤال : أين يذهب من يغوص فيه ؟ أين

تؤدي هذه الهوة التي يبدو أنها كانت مندفق الماء ؟ جلس . جلس فوجد الى جانبه الراء . امرأة امام طاولة تتأملها . وقفت المرأة عندما شاهدته . كانها تفكر . كانها باكية الوجه . سألها : ما بك ؟ قالت : أبحث عنه . ثم قالت : انتظره . ثم نظرت في هوة في البركة ، يبدو أنها كانت مندفق الماء ، في هوة أحزانها ، ثم تنهدت . ثم رفعت يديها في الهواء ، ثم رفعت رجلها اليسرى ، ثم أمسك بها من يدها اليمنى ، ثم غاصت في الطاولة . غاصت في هوة أفكارها . نظر في عينها فاذا هي زرقاء جميلة صافية . يبدو ذلك عندما تنغمس في هوة تفكيرها خاصة ، في طاولة قد تكون مستديرة وقد تكون مربعة وقد تكون وقد تكون وقد تكون . هي بلا شك تجلس وحيدة لانها تنتظر شخصا ما . عندئذ تذكر الجالس على الضفة ، فتساءل : أين تؤدي هذه الهوة ؟ ما هو مبتدؤها ؟ لم يفوس الانسان فيها فلا يحدث صوتا ثم لا يكون لائسره أثر ؟ أجل . كان ذلك ذات قيلولة ، أو ذات ليلة لا قمر يغشاهم ولا نجم يغطيها . ثم انتابته نوبة شعرية .

فهذا الفضاء الاشهب الاشعث لا توجد فيه الاحداة واحدة ، أو قبيرة كانت هناك . هذه الضفة وتلك الضفة وتلك طاولة وهذه امرأة وهذا ماء راكد عكر لا بد أن الحياة كانت فيه ذات يوم ، وهؤلاء القرويون يبحثون عنها . أيها الرامون بأنفسكم في هوة كانت مندفق الماء هي الآن ماء راكد عكر ! أيها المتولدون من صلب لحظة ماضية ، أيها المتولدون من حبيبات السدر ذبابا صغيرا حقيرا ! أيها النبق ! أيها ... ثم سكت . لقد انقطع مد النوبة الشعرية فاذا هو على الضفة من جديد . كان الكلام يخرج من فمه ومن بطنه ، ثم تولد الكلام من أعماقه . ثم اصطدم انتباهه بامرأة الى الطاولة على الضفة تبكي والذكرى في عينيها متدرجة مصلوبة ، هي وعد خائب وبطن قد أجهض . جرح منساب وشوكة ابرة منفرزة في شفق أحمر كان موعودا ، يا انعدام الفرصة ! يا هروب الحياة من الحياة يا فرار الامن ، يا بركة عكرة في قلب صحراء في قلب سبخة كانت قديما بحرا ، كانت بحيرة مقدسة ، كانت مجرى الحوت والسمك . يا بحرا أصبح صحراء في قلب صحراء ! يا ... ولكن النشيج خفق صوته . فكان يسمع في قلبه صوتا آخر باكيا . عندئذ انتبه الى المرأة ، الى الطاولة ، على الضفة تبكي ، فسكت . ووضع راحة يده اليمنى على خدها يمسح دمعها متساقطا لا يخلو من زرقاة وسواد فيه كثير من وحل البركة . فأنست من يده رقة . فسكنت .

قالت : أجل ، كان ذلك ذات ليلة . ألا تذكر ؟ انظر الماء أمامك يذكرك .
انظر اليه يرتعش بعد ركوده ، هي أول رعشة له منذ ركوده ، منذ جلسنا على
الضفة تشاهد البركة والهوة . وافتح أذنك جيدا ، أ تسمع ؟ انظر تلك
النافذة المضادة التي تفتتح في الجهة الغربية . انه شبح يتراءى خلف النافذة ،
شبح رجل ، انى لاسمع في رأسه حوارا يدور بينه وبين نفسه . انه يتذكر بلا
شك ما كان قد اعترى قريته من نهب وأصاب أهلها من غارة . يقال : إن جملا
كان قد برك في مندوق عين كانت تسقى شعاشيط النخل وزواحف الارض
فانسد المندوق وهجم على القرية عفرية اختطف ما في القرية من شياء وأبناء
وبنات وأحلام لم تولد بعد وأباد الاخضر واليابس ...

لكن ذهن الجالس الى الضفة كان الى الهوة : فقد شاهد فيها رأسين يبرزان
فجأة ، وسمع المرأة آنئذ تقول : لقد انطفأ النور في الغرفة . فوضع يده على
فمها . فسكنت ، وسكنت . لكنها انتبهت الى الرأسين يبرزان من الماء ،
فاندفعت يدها مشيرة وفتحت فمها ، لان صرخة أرادت أن تقرر الهواء
وتنتفض من أعماقها . ولكنه أسرع بيده الى فمها .

قال الاول : تصور لو يتوقف الماء في جوف الحوت ، ما ذا يقع للبحر ؟

قال الثاني : لم أفهم <http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال الاول : يا ضبع ، أى لو يغص الحوت بالماء ، ماذا يحدث للبحر ؟

قال الثاني : سيشرق البحر .

قال الاول : وعندما يشرق البحر ، ماذا يقع للماء ؟

قال الثاني : يلتهمه ياجوج وماجوج .

قال لاول : وعندما يلتهم ياجوج وماجوج ماء البحر ، ماذا يقع للحوت ؟

قال الثاني : يلتهم نفسه ، يأكل بعضه .

قال الاول : وماذا يقع آنئذ للحشائش في قاع البحر ؟

قال الثاني : تيبس بدون شك .

قال الاول : وانت أين تكون عندئذ ؟

قال الثانى : لست أدرى .

عندئذ أبرز الرجل الاول مسدسا ، وغمز به عين الرجل الثانى ، فتيقظ فيه احساسه بالحياة .

قال الرجل الثانى : عندئذ أموت ، ككل الحوت .

قال الرجل الاول : ولماذا لم تمت بعد ؟

قال الرجل الثانى : لان البحر ما زال فيه ماء .

قال الرجل الاول : لكن قد جاء الحوت الذى يلتهمك . يجب ان تكون قد مت . وبما أن موتك كان يجب أن يكون قد تم ، فقد جئت الآن لاستخلص منك هذا الدين .

قال الرجل الثانى : ولكننا اينما قرية واحدة ، وقد أكلنا وشربنا معا ...

قال الرجل الاول : حلا تزال تعتقد بخطا القول المأثور فى قريتنا : ما فى الجبة الا الله ؟

ARCHIVE

قال الرجل الثانى : تلك عقيدتى دائما .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال الرجل الثانى : اذن فانت لا تزال ملحدا . ونحن نخشى منك على القرية . فقد اصبح يهتف بك فيها السراق والزناة والبغايا والسكران والملاحدة والمجانين والاحمرة والبغال والعميد والكتب الصفراء والكتب الحمراء والكتب الخضراء وعمال المناجم والباربوات وجامعو أعقاب السقاير وأهل الكهف واذاعات العالم المتخلف و ...

قال الرجل الثانى : ماذا تريد الآن ؟

قال الرجل الاول : قلت جئت استخلص الدين . فأى موة تختار ؟ واقفا أم نائما أم متقرصا أم جاريا أم سائرا يتمهل أم منبطحا على ظهرك أم مستلقيا على بطنك أم رافعا رجليك الى فوق أم متربعا أم راكعا أم مغنيا أم نائحا أم هائما على وجهك أم محملا فى السقف أم ناظرا الى مؤخرتك أم سائرا على يديك ورجليك أم عادا النجوم أم واقفا على رأسك أم أى وضعية أخرى تشاء ؟

قال الرجل الاول : أرى أن الوضعيات كثيرة جدا .

قال الرجل الاول : ذلك من باب التسامح والديمقراطية والحوار فسي
قريتنا ، فنحن نخير الانسان حتى في طريقة موته .

قال الرجل الثاني : وهل لي أن أتمنى أمنية قبل أن أموت ؟

قال الرجل الاول : وذلك أيضا من المعمول به في قريتنا .

قال الرجل الثاني : أتمنى إذن أن أموت في كل الوضعيات التي عدت .

قال الرجل الاول : هذه أمنية لا تتحقق .

ثم قبض على عنق الرجل الاول ، ثم غاص الراسان في الماء . وعندئذ انطلقت
من فم الجلوسة على الضفة صرخة . عندئذ طفت جثة الرجل الثاني فوق الماء ..
وعندئذ طفت جثث أربع أخرى على الماء . وعندئذ اشتد صراخ المرأة الجلوسة
إلى الطاولة . ثم رمت بنفسها في البركة . وعندئذ غامت رؤية الجالس إلى
الضفة ، فرأى في قاع البركة قريته . ورأها غارقة في ماء متحرك لكنه
محترب . عندئذ قال : كان ذلك ذات صباح ، أو ذات قيلولة أو ذات ليلة ، في
بلد يفشاه الضباب ، في قرية لا ظل للشمس فيها ، في بركة قد برك في
مندفق مائها جمل متعب قد فر سائقه .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم اتضحت رؤياه ، فإذا هو داخل البركة بجهد ، وإذا البركة لا ماء فيها .
وإذا الجمل لا يزال باركا في موضعه . وإذا الهوة سحيقة ، سحيقة .

ابراهيم بن مراد

بلا رجل

تأليف : حياة بن الشيخ

نشر : مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله

السعر : 2180 مليم تونس

كلارك رسائل إلى امرأة ولحمدة

- I -

سيدتي ،

هناك لحظات يشعر فيها المرء أنه يمثل الكون كله بجزيئاته المختلفة . وقد تكون تلك اللحظة لحظة قصوف وانجذاب ، وقد تكون لحظة سكر .

عندما كنت أفكر في ذلك - يا سيدتي - كنت أنت اذاك بين ذراعي الرجل الذي اكن له عطفًا ويكن لي مقتًا لا حدود له . بهذا الشعور البسيط الساخر كنت اشعر وأنا أنظر الى خصلة الشعر البيضاء التي علت مقدمة رأسه وأقابلها بالشعيرات البيضاء المتناثرة هنا وهناك فوق شعر راسي .

ولم يمنعني يا سيدتي هذا الشعور عن التوقف لحظة قبل ان اتصل بك هاتفيا لأشرب شيئًا من الجعة وأكل القليل من - البيتسا - .. لقد كانت محشوة بالطماطم وتعلو صفحتها طبقة من جبنة - الفرويير - وثلاث حبات زيتون سوداء وقطع من سمك الانشوبة متناثرة هنا وهناك فوق البساط المحاط بحمرة الطماطم .

وخيل الى وأنا اضحكك لنفسى ضحكا مرتفعًا يهز جدران النفس ويزعزع الاساطير والاورام التي تملأ رؤوسنا ان الزيتونات الثلاث التي تتناثر فوق صفحة البيتسا - هو أنا وانت وهو ، وأن ما يتناثر حولها من قطع السمك انما هي حيوانات ما قبل التاريخ من ديناسور وماموث ... وملا صراخك أذني

فانتفضت من مكاني والقيت بنفسي اليك . ولما وصلت كان هو الآخر قد وقف كالدرع الواقي دونك وأنياب الماموث الحادة فاخترقت جسمه وسال دمه أحمر قانياو فوق الجليد الابيض عند أحد سفوح الجبال التي لم يكتشفها الجيولوجيون بعد وأسرعت الى تنجين بنفسك من هول الانياب في تلك اللحظة وجسمك الناضج يرتعش فرقا بين يدي أحسست برغبة لا تقاوم لم أجد مبررا لها ... واضطجعتا فوق الجليد قرب اللون الاحمر والجسم الذي أخذت وريقات الجليد تخفيه شيئا فشيئا . وأحسست بأصابعي ترتعش فوق جسمك وبأنيابك تنغرز في كتفي اليمنى .

لم يمنع اتحاد جسمينا هدير بركان أخذ يثور ويرسل بالحمم حوله . ثم يحتوينا شيئا فشيئا حتى كون حولنا كهفا وكأنه يقى النبتة التي نبذرنا من التللف ...

وادركت من أسنانك التي تنغرز بقوة في كتفي أن البذرة انتقلت اليك . وعندها أحسست بشيء من الضعف . أما أنت فلقد انسللت ثم تسللت بين ركام الرماد البركاني وفتحت لك طريقا ... وطريقا ... ونظرت اليك وأنت تمرقين من فتحة البركان فأغمضت عيني وأنا أراك تنجين ببذرتك تدافعين عنها بحرارة المؤمن . وأحسست بالأمن والسلام ... وكان البقر الوحشي يغزو المروج والسفوح فيطرده رغم سلمه أشد الوحوش شراسة .

ومددت يدي بالسكين الى - البيتسا - أقطعها أجزاء وأضع قدرا منها بين فكي . وعندها فقط رأيتك تقفين قرب شاحنتي ثم ألقيت بنفسك وسط الحانة الصاخبة . وقبل أن تصلي الى امتد سكين الى رجل يقف في طريقك الى ثم امتد سكين آخر ...

وانطلقت بنا الشاحنة في سرعة مجنونة وأنا أهدهدك فوق كتفي . وفي أحد المنعرجات رايت الماموث ، واخترقت ناباء صدرى ...

ورأيتك يا عزيزتي تفرين هاربة تحملين البذرة . فبكيت لا شيء الا لاني أحب البذور التي تحولت الى سنابل والسنابل الى حب ناضج ولكن الزمان لا يقهر والماموث ما زال حيا ...

سيدتى العزيزة ،

يجدر بى سيدتى أن اثنى على جمالك الساحر فى رسالتى الثانية اليك .
ولكن رسائل عديدة لن تكفى لوصف سحرك لذا أعود للرد على سؤالك كيف
نجوت من أنياب الماموث ...

لقد أدركت سيدتى - ولو بعد حين - أن الماموث وأنا شيء واحد . فقد
استطعت أن استعير أنيابه الحادة ، وأن أتعرض بدورى الى أبناء جنسه من
آونة الى أخرى فأخترق بانيابى المستعارة جسمه الضخم وأقطعه قطعاً كبيرة
استعملها فى اجتذاب حيوانات أخرى من أكلة اللحوم فما ان تشم رائحة الدم
حتى تسارع الى نقطة انبعاث الشذى ... وأكون أنا مستعداً بهراوة خلف
شجرة فما ان تمد عنقها وتفتح فمها حتى أجذب الجبل فيشدد على العنق
واضرب بهراوتى فيتحطم الرأس ... واكشط الجلد وأمتع باللحم ...

... نسييت أن أقول لك : إنى استطعت النجاة على يد حيوان آخر يشبهك
جداً وان كان أسود البشرة ، مجعد الشعر ، أطول منك قامة ، وأنضج صدراً ؛
فقد حملنى الى كهف تحيط به الأشجار وسط الأدغال فى مكان مرتفع من
الجبل . ووجدت منه عتاية مستنقطة ودغدغت مناطق من الجسد والروح ...
واعترافاً بجميلها لم أر بدا من أن أقدم لها البذرة التى كانت حسبما شعرت
تتوق اليها منذ رأتنى ورات الدم يتدفق من صدرى وقد أخذت تمر بيدها على
كل أعضاء جسدى وكأنها تستكشف عالماً مجهولاً .

وعندما كنا فى نشوة البذر ولحظة العطاء سمعنا أصواتاً لم نهتم بها .. ثم
استلقت بجانبى تلتقط أنفاسها بينما كانت الأصوات تزداد حدة والأمطار
تنسكب بغزارة الشلالات وقفت أنظر لماذا كل هذه الأصوات وإذا بالمياه قد
اغرقت نصف الجبل وأخذت تتسلق وتتسلق الجبل حتى أدركت كهفنا . فالتقينا
بأنفسنا وسط المياه وأخذنا نسبح ونسبح وقد ارتفعت الأمواج فابتلعت الجبل
والغابة واختفى الماموث . وفرقت بيننا الأمواج ودفعت بى الى أحد الشواطئ .

وفتحت عينى فوجدت جسمى منفرداً فى الرمل وعلا صوت قوى يحطم
الرمل الذى احتوانى وأحسست أن جسمى يتخلص من ضغط الرمل المتجمد
الصلب ...

كنت أحس بدوار ينتابني وأنا أحاول الوقوف على قدمي ... وكانت حولي مخاليق تشبهنا ولكن وجوه رجالهم كانت خالية من الشعر ... ومدت الى يد قوية تأخذ بيدي وما ان لمست اليد حتى أحسست بمشاعر غريبة ، وقد أخذ الدم يتدفق بقوة في شراييني حتى خشيت أن يمزق جلدي ويتناثر على الارض حولي فرفعت رأسي ولكنني ظلمت شاخصا دون عراك ...

انه البذرة .. انه البذرة بعينها فقد خلته أنت أول مرة لما بينكما من شبه كبير محير ...

وأحسست بالدموع تترقرق في عيني ... اذن فقد أنت البذرة ثمارها ... وفجأة أحسست بيد أخرى تمتد الى يدي تعينني على النهوض . واذا بنفس الاحساس ينتابني . ورفعت عيني لأفاجأ ... إنه ... إنه البذرة الاخرى انه شبيه الاخرى انه ذو سمرة قاتمة وشعر أجعد ...

وإن كان كل من البذرتين تشبه احداكما الا أن كلا منهما يشبهني : حتى لكأنني أنظر الى خيالي في مياه إحدى البحيرات الهادئة ...

وتذكرت أشياء وأشياء في ومضة عين - البتساء - وحببات الزيتون والمأموت والفوهات البركانية الحامدة والنزول على الطريق والمياه التي تسلفت الجبل وغمرت المغاور في أعاليه وأنا أسبح وهي تسبح في مياه لا حدود لها... ولما لم أتحرك من مكاني انحنيا على ورفعاني في سعادة .. لا أشك أنهما تعرفا على فقد لاحظت ذلك في عيونهما التي تطل منها فرحة اللقاء .

ولكم كانت سعادتني عظيمة يا سيدتي .

- III -

عزيزتي ،

انه لما يبهج النفس أن نتبين أن أرضنا خصبة وأن الحبة أنبتت سنابل والسنابل أنبتت حقولا والحقول أنبتت بذورا لا يحصيها عد ...

ولكم رايتك أنت بل رايتكما في الطريق . ولكن لم تتعرفا على بينما أنا تعرفت عليكما تمام المعرفة . وكم من مرة استوقفتكما وخاطبتكما فضحكتكما لي وانتما تصغيان الى حديثي في اندهاش ثم تودعاني في آخر الامر وتسركاني

بمفردي اتجول بين البناءات الشامخة والشوارع الساطعة الاضاءة والحدائق
الغناء وتماثيل الحيوان والانسان متجمدا في حجر صلد او حديد صلب اسير
وحيدا غريبا متجنباً هول السيارات والشاحنات .

وعند مطعم صغير يقع في زاوية شارعين لاحظت فوق بابي لافتة كتبت
بالنور الاحمر - بتسا - أحسست بالجو يملكني فدلقت الى داخل المطعم ...
وقدمت الى - البتسا - مستديرة يغطي وجهها جبن - الفرويير - وتحيط بها
حمرة الطماطم وحبات الزيتون متناثرة ... وتذكرتك نعم تذكرتك وقد اشتقت
اليك والى حديثك العذب فانا لا أجد من أحده فكلهم يجرون ويجرون وكان
أنياب الماموث تهدهدهم او فوهات البراكين تلاحقهم او مياه الطوفان تغرقهم .

وفجأة رأيتك تدخلين وتجلسين أمامي وتبتسمين في صمت ومددت يدي
أقطع - البتسا - وارفع قطعة منها الى فمي وأنا ابتسم اليك . وفجأة انفجر
كل شيء فقد بدأت حمرة الطماطم التي تحيط بالجبن تتسع وتتسع . ثم انفجرت
لهيبا وتطاير كل شيء ، والبذرة احترقت احترقت يا عزيزتي رأيت البذرة
تنتهب في كل مكان ، وأدركت أن أنياب الماموث وثورات البراكين لا تعد
شيئا يذكر الى جانب إشعائهم الرهيبة ... ولا أعلم ما الذي حصل بعد ذلك ؛
فقد خرجت من أحد الكهوف ورأيت الماموث ولم أخشيه . ولكني تذكرت أني
جوعان فالقيت عليه بصخرة فهوى فأرتميت عليه أمزق جلده وأحطم أنيابه ،
وابعج بطنه ، وأعبت بعيني . فلو كان موجودا لما امتد اللهب الى البذرة وفجر
البذرة . وفجأة توقفت ويداي ما زالتا ملطختين بدم الفيل العظيم فقد تبينت
الحقيقة : إن أخى هابيل هو الذي أثار البراكين وأرسل المياه بفيضاناتها وهو
اليوم يعمد الى البذرة لينتقم منا . فانه لم يغفر لي أني استأثرت بك .

يجب أن أبحث عنه لاقتله مرة أخرى يجب أن أقتله مرة أخرى اغفر لي
ذلك يا عزيزتي .

محسن بن ضياف

صباة بن الحسين

للمحزني في بفتح

السيارة تنهادر ببطء مقرف كعجوز منهار القوى يقاد عنوة الى الموت .
تتمادى رغما في تلكمها ، مشمئزة .. حائرة توشك أن تصفع جهرا من فيها .
تلفظ حمولتها على الرصيف لتريح صدرها من عبء الحمل الثقيل .

السائق يتشأب بعناء ذليل ، يحاول ازاحة سجب المهانة المتكاثفة امام
ناظره ، ، لكن دون جدوى . القرف والاشمئزاز يختفانه مع رواهب ذل قديم
قد تغفل في جوارحه ، واستوطن أعماقه . يتجشأ مرارته . يكتم لعنه .. عادت
تنفلت من فمه المطبق على آلام لا نهاية لها وسنينى صبر فتاك تلتهمه دون رحمة ،
رغم صمته وجموده . يتأوه في سره ولا يتكلم . اذ لا يمكن أبدا أن يتكلم ،
فالمرأة الصغيرة المعلقة امامه تصدمه بالحقيقة القابعة في قعر السيارة الفخمة .
تذكره بالجلسة خلفه ، ضفدعة منتفخة ، بغيضة المحيا ، تبرق عينها الجاحظتان
بغرور وقح أو هي ترمق المتزاحمين كالبغال في الشوارع المكتظة الضيقة .
تداعب شفثيها الرفيعتين اللتين لم يستطع أحمر الشفاه أن يمحو آثار زرقتهما ،
بسمة متبرمة ، مترفعة . تختفى البسمة الفاترة خلف تجاعيد خديها المتراسة
الواحدة تلو الاخرى ، والتي لم تستطع المساحيق ان تشل سير زحفها
المتواصل . وتمردوا الدائم .

تزفر بملال ، الوقت يفر من بين أصابعها النحيلة المزركشة بالحواتم الماسية .

بكل عجرفة تصرخ في السائق . يتصبب وجهه عرقا باردا يزيد في تشنيج
أعصابه . الزحام شديد . شديد . أضواء اشارات المرور تتلون . تتلون معها

أحلامها الميتة في قفص صدرها المغلق على عشرات الاماني المفتولة . والبالغ ما تزال تتزاحم . تسد الطريق امام عرشها المتحرك . يثن مقود السيارة تحت ضغط اليدين الجافتين المتشبثتين به . تثن بصدرة زفرات محمولة الوميض . تجيش بصدرة امان دامية الشعر كم يود لو ينقض عليها . يرفسها بقدميه . يستل « الروح » منها . ينتزع من بين مخالبها شظايا كرامته اللعينة . وكبريائه الجريحة . يسترد حياته المدفونة في هوة الفقر والخضوع . يهرب بعيدا .. بعيدا حيث يمكن له ان يقوم بتجربة ولو كانت عقيمة النتائج . يحاول ان يكون آدميا ، او شبه ذلك ولو مرة في حياته . دون ذل او خشوع او سكين تملق منغرزة في عنقه الى الانحناء والنظر الى تحت دوما الانحناء .. والنظر الى تحت !!

ان خاتما من خواتمها يمثل ثروة له ولاولاده الستة ، وزوجه الغبية التي ما انفك تفتح ابواب المطالب . تقلد أختها . وقربياتها . واحقر .. احقر جاراتها . انشاء التافهة ، الملحة المطامع لا بد ان يرفسها هي الاخرى تحت قدميه .. يريحتها من تفاهتها ويستريح من قذارة حياتها معا . لكن ..

لكن ما امامه الا ان يلعن ويشتم ويحسنى الراس . ويقوس الهامة .. ويتصبب وجهه المفضن عرقا بمشاكسات الافواه الجائعة المحيطة به .. ويكاد ينفجر ثورة لاوامر الضفدعة المحنطة التي وعبه الزمن لها كقربان حي لقذارة اهوائها . وليس امامه غير الصمت .. الصمت هو ملاذه الاول والاخير ، ان كان يريد ان يعيش . يختطف بعض وريقات تضمن له البقاء ولو في سفح الفاقة .. لكنها في كل يوم تسلبه بتعنت فذ القطرة الباقية من كرامته . كل يوم يفقد قطرة من ماء آدميته التي جف نبعا . يعود يغوص في بئر الصمت...

تعود هي ترمق البغال الهنيئة البال بنقمة متحسرة . اليوم سيأتى حتما سيأتى انها تعرف جسعه . تعرف لهفته الى الورقات النقدية ان رآها تتلاعب بها بين يديها كطفل يتلهى بحفنة رمال ليشيد قصرا على الشاطئ ..

عش الهوى ينتظرهما . لقد فرشته بأحسن الرياش . رمت فيه أغلى التحف . زركشت جدارته بلوحات زيتية ثمينة لاشهر الرسامين في مشاهد غرامية توقظ الحواس . وتؤسر الالباب .. طبعا هي لم تنس أنه لا يفهم من كل ذلك شيئا . ولا يريد أن يفهم . بل ينظر الى الكل بعلو سخيف ، وجهل قاتل ، ثم

يذهب الى الثلاجة يأخذ زجاجة نبيذ وما تقع عليه يده من الاكل الشهى ،
يبقى بزدرد الغذاء الدسم وكأنه بدائي جائع صام دهرًا . ثم قدمت اليه اكلة
لذيذة فوق وقع فيها كذبابة هرمة غرقت في صحن حساء ساخن . تبقى الضفدعة
الجريحة قربه ترمقه بهلع كما ترقب كلبها المدلل ترمقه بمسكنة . بكل أبهتها
وجواهرها . وتجاعيدها التي تجاهد المساحيق .. تخوض معها غمار معركة
ميمية . دائمة الفشل . والشعر المسوى بيد أمهر الحلاقين قد التصق بالراس
كأسلاك شائكة ، غرست في رأس دمية مطاطية غدت مهددة بالانهيار بين
لحظة وأخرى .

ترسم ثانية صفحة وجهها المشوهة ، ثم ترش بعض العطور كي تجذب أنفه
المنفص في طبق اللحم الطازج . يتفاضى عن محاولاتها . يدس رأسه في
الطبق أمامه ، يلتهم ما فيه . و « البيك - آب » ينق بأنغام لا تجد لها طعما
ولا رونقا .

تكس بسمة فوق شفثيها الرقيعتين . تلتصق به . يصب كأسا . يمد لها
بأخرى . يشعل سيجارة . يتجشأ منشرجا . يزفر كأنه يرثى راحة مفقودة .
وهى تلتصق به فى اغراء ذليل ، تذكره بوجودها . تلقح أنفه بعطورها . ينظر
لك خيوط الدخان المترافقة حوله وعشرات المشاريع تراود فكره الجشع
اليقظ دوما ..

المال . هو يريد المال فقط .. ولتذهب هذه الضفدعة القذرة الى الجحيم .
لقد اشترت شبابه . اغتصبت زهرة عمره من بستان حياته . ومقابل ذلك
أعطته المال . والحب .. غير أنه ليس فى حاجة الى حبها ، فلترحمه وليترحم
نفسها هذه العجوز المريضة المتصابية . لم لا تذهب الى زوجها الثرى الوجيه .
لا بد أنه مثلها . جثة تننة هربت من بيت تشريح . ولتتركه الى حبيبة العمر ..
الى سمراته الوديعه التى تظلل فى عينيها أمانى مصيره الثائر وتخفى تحت
غمازتى خديها واحات حياته الظمأى الى الحب .. والحنان ومباهج الدنيا ..

لكنها فقيرة . ضعيفة كقط كسرت أسنانه . ليس لها ما تقدمه سوى ليل
شعرها الافريقى الفاتن وسداجة حبها العذرى الهادى كمياء بحيرة ميتة ..
والحياة مريرة . والزمن لعين . والكل يدفعه لان يرمى بين أحضان صبية
الحمسين ، برغم كل ما ذاقه من ويلات تقلبها وجوعها . تلك العجوز المدللة
التي تجعل من الدنيا حلما برافا مثيرا وأملا مزركشا خلاب الاجواء ..

وهو موظف فقير . مفلس . مغموور . مهممل فى ركن مكتب من مكاتب مؤسسة مجهولة . والثمرة التى يقتطفها لا تسد رمقه . والبدلة التى يرتديها صيفا شتاء لا تستر جسده . والجيب خال . والجوع كافر . والرأس مشحونة بالافكار المتمردة الباحثة عن منفذ . انما الشباب موجود . والرجولة فوارة تنتظر لحظة الانفجار .. فحولته هى كل رأسماله الذى دخل به بورصة الحياة . وهو يقاوم . ويقاوم التيار قبل أن يكتسحه . ولن يخسر . لا بد أن يكسب من يقامر بفحولته وشبابه . لا بد من السير فى الدروب الوعرة المحفرة حتى يصل الى ماوى آماله .

لن يظل ابد الدهر غارقا فى قبر يؤسه ، يتجرع تصرف مديره المتعجرف السيارة ما زالت تترنج كجمل متعب ينوء تحت ثقل هودجه . كتلة الشحم البشرية تتململ فى قعر السيارة . تكاد تصرخ .

تخرج المرأة تسوى كومة التجاعيد المنتصرة على مسحة المساحيق . حبات عرق بدأت تعلن عن تمردها فوق قمة أنفها المذهب كبقايا صخرة مفتتة .. الانتظار يخنقها . لكن حتما سيأتى اليوم . لن يفعل كالامس . وما قبله . ومنذ أسبوع .. لقد بدأ يشبع ذلك الكلب الحقيقى . غلطتها الكبرى أنها أشبعته . كان ميتا هزىلا ، غير قادر على العض .. والآن . بعد أن شبع وعادت اليه قواه ، ها هو يخرج أنيابه ويحاول أن يعطى لوجوده قيمة . آلاف الوريقات ابتزها فى أشهر . ملأت بطنه وجعلته يعانى من وخزات التخمة بعد جوع طويل رافقه سنين طفولته وشبابه .

بدأ الوهم يتلاشى من أفق نفسها المaulوة حقدا ونقمة . أدركت الآن أنها لا شىء عنده . ما هى الا وريقات يبتلعها على عجل ، ويتحایل على اختطافها بتحد سافر . ثم لا شىء بعد ذلك . بعض قليات باردة كأنها طبعتم بغم حيوان ميت .. وفراش يثن برثنى صراع جسدين متنافرين يسيران فى اتجاه مضاد . تجمعهما نفس النقمة والملاة من مهزلة الوجود المتجددة المارة .

زوجها الوجه الثرى لا يعلم . لا يهمه أن يعلم . فالبیت قائم والخدم موجودون . والمال وفير . والحليلة بين يديه ، دمية صغيرة يكون هو وماله المفتاح الذى يدير محركها . ويقود خطاها . وهى الاخرى لا تبحث الا عن

الذهب . تلهث . وتكدح وتنهب من أجل أن تسمع نغمة القطع النقدية وهي تتكوم في جوف يدها ، تبعث في كيائها الغبطة والسعادة .. ولا يعينها بعد ذلك من أمر الخنزير الثرى شيء ، هو يريد المتعة . يريد التسلية كي ينسى .. للحظات - سام الايام الراكدة المستسلمة له دون معاناة او نزاع . ينسى مشاكل الثراء الفاحش .. وجمرات السنين المتجمعة في كفه وهي تلسعه من حين لآخر .. تنذره بهبوب عاصفة النهاية المرتقبة .. وهي تريد المال .. تريد هي الاخرى أن تنسى مأساة عامها العشرين ، وهي الى الآن ما تزال زئبق تائهة فوق رصيف مترب ، لم تجد بعد اليد التي تستطيع أن تمسكها ، وتنقذها من الاتلاف . لا عمل . لا علم . لا عائلة تستند على جدارها فتحميها من السقوط .

يتيمة . فقيرة . جمالها هو رصيدها الوحيد في بنك الزمن . تمشرت . وتحطمت . ولفحتها الرياح الى أن اكتشفت المعدن النفيس المدفون في أعماق كيائها . فما كان أمامها الا أن تستغل بضاعتها الطبيعية . وتعرضها للبيع ، ما دام قد حكم الجميع عليها أنها لن تكون أبدا بضاعة يساوم عليها خنزير ما.

تزيح عنها أسترة الأفكار المستعرة باستسلام حزين . هي تعرف ذلك . تعرف كل شيء عنهم .. انما لا يهمها بلذهب هو الآخر الى الجحيم . لتفتت الابالسة جسده الذي نخره السوس . المهم المال المتدفق بين يديها . المال الذي تشتري به ساعة تريد كلبا صغيرا لصالونها الانيق . تتسلى به . وتتباهى بجمالها أمام صديقاتها اللواتي حتما يقرن منها ، ويحسدنها على حظها الوافر .. وصالونها الذي لا يخلو أبدا من كلب آدمي الياف .

لو لم تكن عاقرا لكانت حياتها زاهية .. عبقة ، يتوجها اطفال تجعل منهم قبلة عنايتها ، وتهبهم حمى آمالها وأحلامها .. لكنها عاقر .. محرومة من الامومة . ومحرومة من أعذب ما تصبو اليه أى أنثى عادية .. لو كانت الثروة ثروته وحده لطلقها منذ زمن ليقترن بأحدى المومسات اللاتي يطاردنه .. انما ..

يتنفس السائق الصعداء .. أمام عمارة فخمة تقف السيارة الانيقة . تلقى بالحمل الثقيل على الرصيف . ثم ترحل فارة ، هاربة من أشباح غير منظورة تسعى للفتك بها .

بخطي متعثرة تدخل وفتات أمل يستقر في صدرها الموجه . الشقة بديمة ،
تزخر بأثمن المتاع ، انما باردة .. خالية من طيف يبعث الدفء في أرجائها ..
ترتمى فوق الاريدة الوثيرة . تنتظر .. تصب كاسا . تشعل سيجارة . تتعامل
حبرى .. تنتظر .. تنظر الى خليط الاسطوانات الملقاة باهمال ، بغيظ وسخط..
ذوق ركيك ! حقير كصاحبه !! لم تدرك الى الآن لم هي متشبثة به الى هذا
الحد . ربما فحولته .. ربما ..

الساعات تمر بطيئة ، مملة . تزحف كحازون جريح .. تتجمد بقايا دموع
في محاجرما .. تزداد قتامة السحب التي تغزو تجاعيد وجهها المرسوم بعناية
بالف لون .. تنتظر .. لكنه لن يأتى .. تعرف أنه لن يأتى ، مثل الامس .. وما
قبله .. ومثل اسبوع مضى ...

حتما عاد الى سمراته البلهاء التي تكبله بنجبال فقرها . وسذاجة شبابها
الريان .. ربما هرب الى قريته كما كان دوما يحلم ليحقق مشروعه الذى
يتصارع من أجله .. مدجنة عصرية يقوم هو وفتاته بالإشراف عليها .. فتدر
عليهما الذهب الذى طالما أحلما به ، وتكون فى نفس الوقت منهل رزق لقريته
الصغيرة السابعة فى يم فقرها وتخلفها .

كم تحتقرهما ؟! كم تمنى لو تركته يموت جوعا حتى يعرف قيمة المال
الحقيقية ؟! كم تمنى أن تسحقه بيديها لترى نقط دمه تلتطخ اصابعها الزاخرة
بخواتم الماس والجوهر ، فيلفظ أنفاسه وبريق الماس يلعب أمام مقلتيه .

ترمى بزجاجة النبيذ على الارض .. تنكسر .. تكسو السجاد برحيقها
الساخر .. الكلب !! الغبي يتحداها !! أضحى يسخر من ثروتها بعد أن سلب
الكثير منها .. الاحق !! هو لا يدري أن النبع لم ينضب بعد ، وفى خزائنها
ما يشتري لها مائة كلب مثله .. رفع الصعوك رأسه بعد أن فتحت هى عينيه
المغمضتين اللتين لم تعرفا من قبل سوى البيت الحقيق فى القرية المتداعية
الجدران . كوخ يملؤه البعوض والذباب مع سرب من أجل رغيف ، او علبه
قذرة تحتوى على مسحوق مجفف سلم اليهم اللبن الذى تجود به بقره شيخ
القرية ...

المغفل !! غدا تشتري حمارا أشد فتوة منه وأرجع عقلا .. لن يكون زوجها أحسن منها ، ما دام كل شهر يقتنى قطعة وديعة يغيرها ذهباً .. المال عندها .. هذا أهم شيء .. المال هو الحياة ...

تجفف دموع حاقدة على الدنيا وما فيها .. تختلط بالمساحيق المتهاكة .. تدق الأرض بعصبية .. لن تنحني بسخافات الزمن .. لا بد أن تنتقم .. ستدوس رأس كل سمراء أفريقية الشعر ، تنيه بريص شبابها الخادمة الصغيرة السمراء هي الأخرى تداعب أفكارها مشاريع براقعة تعيش منذ زمن على عسجد بريقها .. منذ أشهر وهي تطلب مالا لتتزوج ذلك الفتى الأبله الذى رآته مرارا يحوم حول حديقة البيت الكبير يترصد طلعة سمرانه القبيحة الفقيرة .. لن تتركهما ينعمان بالحب بينما هي تتعذب ، تلتسعا عقارب الحقد والغيرة .. لن تدفع لهما ولو ورقة واحدة من تلك الأوراق التى تفتح أبواب الجنان كما كان يقول لها جروها المدلل - وهو يضحك بعبط - بأحشا عن بقايا نهد اعتصرت شباباه شفاء السنين .

لم تنعم السمراء الفقيرة بالحب وهي تعسة بثرائها .. لا .. ستشتري غدا حمارا مغضض العينين ، يتبع خطاها دون مقاومة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تتنهد بحرقه .. تحطم كل الاسطوانات .. تمزق ملاپسه الملقاة باهمال فوق أريكة غرفة النوم الخالية المنتظرة .. الحيوان الهارب بصمت هازى .. تمزق .. تمزق ..

تعود ترتدى فى جوف الكنبه العريضة .. تجيل النظر حولها بحنق .. السكون يعم الشقة .. هي وحيدة .. وحيدة مع شتاء حياتها .. وحيدة .. تعود تدخن بغل رهيب .

لن يخط بحماقته نهاية حياتها .. لن يكون له ذلك .. فللمهزلة بقية . وستعرف كيف تخط هي نهايتها لا أى قدر غيرها .

حياة بن الشيخ

قراءة نقدية في "أعمدة من دُخان"

لنوافلة ذهب

مجموعة قصصية ، منشورات « صفاء »

88 صفحة من القطع المتوسط . الطباعة الحديثة

ماي 1979 .

1 - القارئ والكتاب :

نوافلة ذهب كاتبة شابة تنشر بقلّة ، قرأ لها الناس منذ سنوات قصصا نشرتّها بالصحف والمجلات التونسية خاصة مجلتي الفكر وقصص . فكانت مادة لمجموعتها الاولى التي اختارت لها عنوان أولى أقاصيصها فيها وهو « أعمدة من دُخان » .

وتضم مجموعة نوافلة ذهب هذه سبع عشرة أقصوصة تتراوح كل واحدة منها بين أقل من سبع صفحات وصفحتين من القطع الصغير . وهو ما جعلني أنعتها بالأقصوصة لأنها - بناء على تحديد النقاد لهذا الشكل الادبي - يجب أن لا تتجاوز الالف وخمسمئة كلمة ، وأن لا تقل عن خمسمئة كلمة ، كما عرفوها بأنها تلك التي تقرأ في انتظار سيارة الاجرة . والظاهر أن مثل هذه التعريفات قد تجاوزتها نوافلة ذهب لان من أقاصيصها ما لا يتجاوز المئتي كلمة مثل أقصوصتها الاخيرة « حكاية رجل يسير » .

وقد تولى تقديم هذه الاقاصيص في مقدمة مركزة لا تتجاوز الصفحتين الكاتب القصصي المعروف سمير العيادي صاحب المجموعة القصصية التجريبية « صخب الصمت » .

كما ساهم في اخراج المجموعة الفنان نجا المهداوي باوحة فنية طبعت على الغلاف تأثر فيها صاحبها بجمالية الخط العربي . وهي لوحة جميلة لست أذكر بالضبط أين كان لي معها لقاء . ولعل ذلك حصل في أحد المعارض الفنية بقاعة وزارة الاعلام .

واللوحة بها شبه رأس ، ويد ممتدة الى أعلى ، وأخرى الى أسفل ، كل ذلك رسم بأشكال للحروف العربية الجميلة . ولو أردت أن أضع لها عنوانا لقلت : « الكاتِب اذ يكتب » . فكل أجزاء الصورة أحرف معجزة وغير معجزة تعبر عن استغراق الكاتب وقت الكتابة حتى تحول كله حروفا لا أمل لها الا في التشكيل والاستقرار على الورق الابيض .

وهذه اللوحة تتم على خصب خيال صاحبها وقدرته الفائقة على حسن اختياره لمادة فنه وتشكيلها تشكيلا جميلا يؤدي به الحالات النفسية والذهنية لموضوعه .

ولست أدري هل استطعت فهم اللوحة الفهم الدقيق . فان كان ذلك فهي أصاح لان تكون صورة توضيحية لا قصيدة ، قد زال المطر ، التي تعالج نفس القضية ، أو تبقى على صفحة الغلاف لكن مع تغيير عنوان المجموعة الذي رأيته ضعيف الارتباط بالصورة أو هكذا بدا لي . وقد يعترض على بأن العلاقة وطيدة بين العنوان وهذه الخطوط المتصاعدة المتكورة تساعد الدخان وتكوره ، فأجيب : اذا صح أنى شاهدت اللوحة من قبل فهل كانت مجموعة نافلة ذهب هذه في ذهن الفنان نجا المهيدوي ؟ إن تضمين رسوم فنانينا في كتبنا ومجلاتنا شيء حسن ندعو اليه بكل حرارة ، وأرحب به بكل قوة . لكن الاحسن منه ان يكون الاختيار أكثر توفيقا واشد انسجاما بين الصورة والعنوان والمحتوى .

ملاحظة أخرى أريد أن أقولها في هذه الافتتاحية ، وهي أن هذه المجموعة لولا تكاتف جهود صفوة من أنصار الادب القصصي في تونس ما كانت لتصل الى القاري، في هذا الطرف بالذات وبهذه السرعة بسبب ما يعانيه النشر في تونس من مشاكل متعددة . فقد أحست هذه الصفوة بالخطر الذي يعيشه المؤلف ونتاجه فأسسوا جمعية أطلقوا عليها اسم « صفاء » فرجو لها دوام الصفاء والعزم الصادق واطراد الانتاج ، وقد علمت أن مولودها الثاني على وشك البروز الى الحياة . وسيكون هذه المرة رواية لا أقاصيص ، بقلم الكاتب عمر بن سالم وبعنوان « واحة بلا ظل »

2 - القاري والمحتوى :

الحيط الذي يربط بين أقاصيص المجموعة كلها هو الحيرة والاحساس الحاد بالاغتراب اللذين تولد عنهما الصراع في الداخل والخارج وقد تمثل ذلك في

حتمية التجابه بين الواقع والمثال رغبة فى التجاوز ، تجاوز ما هو باعث على الحيرة والاغتراب ، والحلول فيما هو باعث على الرضى والطمأنينة .

وقد تمكنت الكاتبة من معالجة هذه الحيرة ، حيرة الشخصيات التى هى بوجه أو بآخر حيرتها هى أيضا ، من خلال قضايا نفسية واجتماعية وفلسفية ودينية بطريقة تقابل فيها الوهم والحقيقة ، والرمز والواقع الامر الذى أضفى على المجموعة عالما دخانيا ضبابيا لعله من فرط احتدام الصراع اذ هو صورة منه ، أو لان صاحبيتها تعد من شيعة مدرسة أدبية عرفت بأنها تصور الواقع بطريقة اللاواقع حيث يتعدم الوعى والمنطق ليحل محلها اللاوعى والحلم والهذيان ، وحيث يتحول المعقول الى اللامعقول . وهى المدرسة السورالية ، أو لانها من انصار ما أصبح يعرف اليوم بالادب التجريبي ، أو لانها تجمع بين الاثنين معا . وان كنت أعتقد بان هذه التسمية الاخيرة - اعنى الادب التجريبي - ليست دقيقة الدلالة لان أى مذهب أدبي جديد هو تجريبي فى عصره . وما تعدد المذاهب الادبية وتحولها من اتجاه الى اتجاه آخر الا الدليل على ان الانسان يفتش فى كل عصر عن الشكل الجديد الذى به يعبر - وهو فى ذلك يجرب ولا شك - عن حوار مع ذاته ، ومع « الآخر » بصفة عامة .

وبما ان المجموعة تمثل - كما قلت - الصراع بين طرفين متقابلين هما الوهم والحقيقة ، والواقع والرمز فاننى أريد أن أقيم هذه الدراسة الموضوعية على أساس ذلك التقابل الباعث على الحيرة والقلق فالاغتراب .

وأود فى مرحلة أولى من هذا التحليل أن أبدا بأقصوصة من وسط المجموعة لا من أولها وهى « قد زال المطر » لانها تعالج قضية الابداع الفنى لدى الفنان . وفيها سنرى تقابل الفن والحياة فى ذات الفنان والصراع الناشئ فيها عنهما ، وكذلك موقف الفنان من هذا الصراع .

فى هذه الاقصوصة نرى فنانا - أى بجماليون عصريا وهو ليس الا الكاتبة ذاتها - يعاني من ألم هجران الفن الذى رمزت له الكاتبة بالشعاع المتراقص امامه ولكنه يأبى الدنو منه وهو يقول له : « لم أعد أحملك وأتير طريقك » بينما يبدو رمز الحياة فى الجارة اللينة التى خرجت متبخرة بمظلتها الجميلة عند هطول المطر الذى غطى سحابة الشمس والشعاع طبعاً .

أما الوهم فيتجلى في استحالة الجمع بين الفن والحياة في ذات الفنان ، أي بين الشعاع رمز الفن والتمتع بجولة في المدينة رمز الحياة . شأن بجماليون « توفيق الحكيم » في عدم توفقه للجمع بين جالاتيا التمثال أي الفن وجالاتيا المرأة أي الحياة . وكان لابد عند نافلة ذهب من تخيل المطر حتى لا يقع الجمع بين الفن والحياة كما لا يمكن الجمع بين الشمس البازغة وبالتالي الشعاع المتراقص والمظلة الجميلة . وفعلًا فلما توقف المطر عاد الشعاع وعندئذ عاد معه الوحي الغنى فاندفع الفنان السعيد بعودة الإلهام اليه الى مكتبه وأخذ ورقة جديدة بعد أن مزق قبائها الكثير ليكتب عليها بأحرف من نور : « قد زال المطر » . وكانت ولادة هذه الاقصوصة التي تحمل نفس العنوان . ولا أدري لم اختارت الكاتبة المطر رمزا لجفاء الفن للفنان علما بأن المطر هو رمز للخصب . وكان الاولى بها ان تخار رمزا آخر حتى لا يفقد الرمز رمزته ومدلوله ويتضارب من كاتب الى آخر .

وفي اقصوصة « أعده من دخان » أولى أقاصيص المجموعة نجد قضية المعرفة موضوعا لها . وقضية المعرفة موضوع فلسفي قديم قدم المعرفة نفسها بحثها أكثر من فيلسوف ، وعالجها فنيا أكثر من كاتب . نذكر منهم في أدبنا الحديث على الأقل توفيق الحكيم الذي أكاد أجزم بتأثر الكاتبة به تأثرا شديدا خاصة في مسرحيته التي صورت هذه القضية أعني قضية الإنسان والمعرفة ، وهي مسرحية شهرزاد التي درستها الكاتبة ولا شك في سنة البكالوريا وطالعتها بعد ذلك مرات ومرات حتى استوى لديها موضوع اقصوصتها هذه .

وقبل أن أتعرض الى تأثر الكاتبة بتوفيق الحكيم أود أن أشرك مع القارئ في هذا الحوار من الاقصوصة الذي سيذكره - دون ريب - بحوار آخر بين هيودنة وغيلان في مسرحية « السد » لمحمود المسعدى (I) ، وهي مسرحية

(I) بعد كتابتي لهذه الدراسة اطلعت على استجواب مع الكاتبة قامت به جلييلة حفصية ونشرته بجريدة « لا بريس » بتاريخ 9 جوان 1979 فتأكد لدى ما كتبتة هنا اذ جاء في قولها عن الكاتب الذي تأثرت به دون سواء ما نصه : ان الكاتب الذي أعجبت به منذ بدأت أكتب ، والذي أقرؤ له وأعيد قراءته بنفس اللذة لاننى أجد فيه دوما الجديد ، والمدهش الذي أصبو اليه هو محمود المسعدى .

• درستھا الکاتبۃ ایضا فی سنۃ الباکالوریا کما درست شہرزاد و بجمالیون
للحکیم :

- لا تنظری الی السماء کثیرا ...
- ولہ ؟
- لماذا تنظرین الی السماء ؟ ... فیم تتأملین ؟
- أتأمل النجوم .
- انظری الی ... الی الارض .
- ولہ ؟
- لانہا منبسطة .
- وعما (کذا) تبحثین ؟
- أبحث عن الابعاد والحواجر .
- ألان النجوم بعيدة تريدین النظر إليها ؟
- أجل .
- لماذا لا تنظرین الی کما انظر أنا الیک ؟
- لأنک بقربی .
- ولو ابتعدت ؟
- فسأبحث عنک ... وعندما تقترب منی فسوف لن (کذا) انظر الیک .
- غریبة أنت .
- سأظل أبحث دائما ... دائما .
- ستترقبین طویلا .
- أجل ! وسيطول الانتظار .
- وهل ستتوقفین يوما ؟
- لا أدری .
- يجب أن تعرفی .
- لا أريد أن أعرف ، لان المعرفة تشمل أعضائی .
- تريدین أن تهیمی ... اذن کیف تترقبین ما دمت لا تعرفین شیئا ، ولا
تريدین أن تعرفی ؟
- أنا أترقب وانتظر المعرفة (ص : 7 - 8) .

فمنذ قراءتي الاولى لهذا الحوار قفز الى ذهني حوار مماثل بين غيلان وميمونة في « السد » للمسعدى ، والمرأة عند نافلة ذهب هي غيلان عند المسعدى . بينما يكون الرجل عندها هو ميمونة عند المسعدى كما قفز الى ذهني حوار حول المعرفة بين شهریار الحكيم وهو المرأة عند نافلة ذهب مع شهرزاد الحكيم وهي المرأة عند كاتبتنا . واذا اراد القارىء التأكد من صحة ما ذهبت اليه فليقرأ هذين المقطعين وليقارن بينهما .

فى المقطع الاول كتبت نافلة ذهب تقول :

- لماذا تريدن التعمق فى كل شىء ؟ لماذا لا تكونين أنت ؟

- او لست أنا ؟

- أنت جميلة .

- ثم ماذا ؟

- تستطيعين امتواء الرجال ... كل الرجال .

- وماذا يهمنى من الرجال ؟

- أنا لا أهتم ؟

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

- أنت تعتقد بأنى جميلة .

فتهلل وجهه ، وكرر :

- أجل أنت جميلة ... أنا أحبك لانك جميلة (ص : 9) .

وفى المقطع الثانى كتب توفيق الحكيم يقول :

شهرزاد : تريد أن تعرف من أنا ؟

شهریار : نعم .

شهرزاد (بأسمة) : أنا جسد جميل . هل أنا الا جسد جميل !

شهریار (يصيح) : سحقا للجسد الجميل !

شهرزاد : أنا قلب كبير . هل أنا الا قلب كبير !

شهریار : سحقا للقلب الكبير !

شهرزاد : أتذكر أنك عشقت جسدى يوما ، وأنت أحببتنى بقلبك يوما .

شهریار : (كالمخاطب لنفسه) : مضى كل هذا . مضى .. أنا اليوم انسان شقى ، (المنظر الثانى من المسرحية) .

وبطلة نافلة ذهب شقية هي الاخرى لا لانها تبحت وفى البحث لذة ومتعة وهذه هي حقيقة الانسان فى كل تقلباته ، بل لانها تبحت عن شىء لا تريد أن تعرفه ، ولأن المعرفة تشل أعضائها . وهذا وهم منها وغرور كوهم الانسان بعامة وغروره . فورا أبة معرفة تلهث اذن ؟ تقول : ربما كنت أبحت عنك أو عن حيوان ، أو عن لا شىء ، (ص : ١٥) . وهذا أقصى ما يشقى به الانسان . ولهذا أتاها منه الجواب أكثر شقاء : « سوف لن (كذا) تجدى شيئا » . واذ تصر على أنها ستجد شيئا ما لا محالة يصفها الجواب مرة أخرى :

— ربما تجدین نفسك .

وحملت فيه : نفسى ... أنا اعلم كل شىء عن نفسى .

فيقهره الرجل سخريه واستهزاء من غرورها وادعائها ، لانه ما من كائن بشرى عرف نفسه الى حد الآن ، وأو حصل ذلك لاكتفت المعضلة الزمنية . ولامر ما اتخذ سقراط منذ حوالى أربعة وعشرين قرنا أساسا لفلسفته هذه الحكمة المكتوبة على معبد « دلفى » : (اعرف نفسك بنفسك) .

فالمرأة فى أقصوصة نافلة ذهب خيال جامع ، كاثرة بالارض ، بالواقع ، وبالايمان أيضا على غرار غيلان المسعدى لان الايمان عندها هو عون ، لطف من الله بعبدته كما يقول علماء الكلام ، وهى لا تريد لطفًا ولا عونًا . تريد فقط الوصول الى الحقيقة وحدها كالفيلسوف الذى يطمح الى ان يستمد المعرفة من عقله لا من قلبه :

— أتؤمنين بالورى ؟

— أنا لا أومن بشىء ، لاني لست فى حاجة الى معين .

— وهل فى الايمان عون ؟

— وكيف لا ؟ (ص : ٩) .

وهي أيضا عقل مفكر يبحث عن « الابداع والحواجز » على غرار « شهريار » الحكيم . إنها فكر مجرد يتوق الى المجهول ، ولو كلفها البحث الترقب الطويل والانتظار الممض والتضحية بالآخر كما ضحى غيلان بميمونة ، وشهريار بشهرزاد الجميلة ، فما دام لا يمر واياها بنفس المرحلة الوجودية فلا كان اقتران . وهكذا تتدخل الكاتبة في مصير بطلها لتحول المرأة ، بعد أن عرض عليها الرجل المساعدة في البحث عما ترغب فيه الى عمود من دخان كما كانت تراه هي من قبل لما كان موضوع معرفتها . وفي هذه النقطة فقط يلتقيان وكان نافلة ذهب تريد من أقصوصتها هذه ان تقول : ان المعرفة في عالمنا هذا ليست الا دخانا وضبابا ولا شيء سوى الدخان والضباب .

وتسير أقصوصة « وجهك والنعل » في نفس الاتجاه ، اتجاه بحث الانسان عن حقيقته كما برأه الله ، عن وجهه الذي لا تخفيه أقنعة المكر والمخادعة ، ولا تغلفه صفاقة الرياء . تقول الكاتبة في خطاب مباشر للبطل : « امتطيت الحافلة ، وجلست قرب النافذة ... قالت فتاة وراءك : ان وهج الشمس يؤلمني والحرق شديد . فقالت صديقتي : لا تواجهي الشمس ، فان وهجا يتلف نعمة بشرتك .

قالت الاولى : الشمس ولا المرأة فالتفت بالرغم منك ، وتمنيت لو تكون الشمس فتغير هذا الوجه ، وتجعله وجهها آخر .

أردت أن تغير الوجوه ... أردت أن تفرج عن الاخايد ، وتنزلق الى الداخل لتفوس فيه ، فتعثرت خطاك وشللت مساعيك وصدمتك مشقة العناء ، وتعفن الجباه ، فالتجأت الى اللامبالاة ، ونظرت من وراء ستار « (24 - 25) .

وبالرغم من اللامبالاة هذه هدته تعاليم والده الى معرفة الوجوه كما أرشدته دروس المعلم في المدرسة الى رسمها واكتشافها حتى ظن يوما أنه وجدها فعلا ، ولكن ذلك كان منه حلما وهما لان الحقيقة تقول : لا يمكن ان نصل الى معرفة « وجه » الانسان ودخائله التي هي قاع بلا قرار .

الوجه اذن رمز لحقيقة الانسان التي لم تعرف ولن تعرف ، فهي رُبّيقية تند عن الحدود والتعاريف . وأما النعل فهو رمز للجانب المادي الحقير لي الحياة .

والانسان بينهما فى عناء . فكلما خال نفسه قد وجد « وجهه » جاء النعل
ليصفع هذا الوجه وينفيه . وهكذا تبوء مساعى الانسان فى معرفة نفسه ،
ويظل فاقدا لوجهه وهذا هو واقع الانسان مع وجهه اى حقيقته .

ويستبد موضوع حقيقة الانسان بقلم الكاتبة فيطرحه فى « دنيا ورقات »
التي جاء فيها على لسان بطل الاقصوصة أن حقيقة الانسان تكمن فى « كرامة
أخلاقه ... ونقاوة ضميره ... وإنسانيته » (20) لا فى عدد شهاداته وورقاته .
ولكن هذا الايمان كاد يزغزه تصرف أحق من فتاة حقاء - رمز الماديين من
الناس - عندما صفعته بهذه الكلمات الجوفاء : « ان الحياة ورقات ، الكلام
اللطيف لا يجدى نفعا » (21) . ولا يملك أمام هذا المفهوم الواهم للحياة الا
الفرار الى عالم الاموات . وهناك بالمقبرة وجد امرأة تبكي زوجها نبيلة فأعادت
اليه ثقته بنفسه وايمانه بالانسان لا بالورقات . وعندئذ تسلسل من عالم
الاموات الى عالم الاحياء ، وهو يردد : « أحسست بالطمأنينة تغزو قلبي فتمنحتني
الامل . وعدت أدراجي ، وقد انتشر الفجر فى السماء . وعادت الالوان الى
حقيقتها . وعادت الى حقيقتي ، وأسرعت ... يجب أن أعود الى المدينة . لم
أعد أشعر بورفاتي فى جبتي . لقد دفنتها فى المقبرة ، وحلت مكانها كلمات
تلك المرأة المسكينة . سوف لن (كذا) أدفن نفسي وسوف لن (كذا)
أرمى بجسمي فى ظلام القبر ، وإنما سألتها من أجل إنسانيتي التي لم تفقد ،
والتي عثرت عليها فى المقبرة » (23) .

وفى اقصوصة « الساعة » نرى الكاتبة تبحث عن قضية أخرى ، هى قضية
ضييق الانسان بالزمن الذى رمزت له بالساعة بينما رمزت للواقع الحياتي
بموعد غرامى لفتاة مع حبيبها عند أقدام تلك الساعة . وتعيش هذه الفتاة
العاشقة صراعاً درامياً بينها وبين الساعة التي تذكرها فى كل ثانية بفوات
الموعد وتأخر الحبيب فتصرخ وتصيح : « يا لها من ساعة خبيثة ... تبا للزمن ،
للمواعيد المضبوطة ... للساعة التي لا ترحم ولا تتأخر » (29) .

وقد حققت الكاتبة لأقصوصتها جواً ملحمياً عندما جعلت فتاتها العاشقة
تحلم بأن عاصفة هوجاء حطمت الساعة فى موعد لاحق لتريحها منها ومن الزمن
الذى أعياها قهره وجبروته . وهكذا يمتد الزمن بلا حدود ، وتظل على أمل
اللقاء وكان الزمن لا يتحرك ، وهذا هو السوء لان الزمن لا يتوقف بتحطم
الساعة وهذه هى الحقيقة .

وأقصوصة « الساعة » هذه تذكرنا بمسرحية « أهل الكهف » للحكيم الكهف هنا هي الساعة هناك ، وبرسيكا عند الحكيم هي الفتاة عند نافلة ذهب ، والثلاثمائة سنة التي أوهمت أهل الكهف بأنهم لم يثبتوا إلا يوما وبعض يوم هي العاصفة التي حطمت الساعة فأوعمت الحبيبين بأن الموعد لم يفت أوانه . ولكن الفرق بين نافلة ذهب والحكيم هو أنها جعلت الانسان ينتصر على الزمن . وهو انتصار وهمي لانه خارج حدود الزمان . وقد كان الاولى بها ان تحقق ذلك الانتصار والساعة تدق لا أن تحققة وهي مشنوقة محطمة .

وعلى أية حال فإن الاقصوصة تعالج تصور بعض الناس للزمن بأنه مصدر شقائنا ، هو الذى يحطم سعادتنا ويسلب منا الراحة ، ولكي نعيش الطمأنينة يجب ان نشقق الزمن ، وهو تصور وهمي لانه لا معنى للحياة البشرية بدون زمن ، فهو الطرف ونحن المظروف ، هو وعاء ونحن محتواه ، هو ياكلنا ولا ناكله . تلك هي الحقيقة التي لا يجب أن تغرب عن البال . ومع أن الانسان قد حلم منذ الازمنة البعيدة بأن يحقق لنفسه صفة الخلود سواء عن طريق الفن أو عن طريق الآثار المادية كالآهرام وغيرها ، فإنه لم يستطع أن يفعل شيئا من ذلك لانه لا انسانية للانسان بدون زمان كما أنه لا مظروف بدون طرف كما قلت آنفا .

ولعل الكاتبة أرادت - من خلال أقصوصتها كذلك - لفت أنظارنا الى قيمة الزمن في حياة الفرد ، خاصة نحن الشرقيين الذين - بالرغم من كثرة الامثلة عن الزمن وقيمه - لا نعطيه حقه من الاعتبار بينما تياره يجري ونحن كأن شيئا لم يكن كهذه الفتاة التي أهدرت الزمن في سبيل عواطفها ونزواتها الشخصية .

وليس الزمن وحده هو الذى استقطب اهتمام نافلة ذهب فالمكان هو الآخر كان موضوعا هاما عندها ، إذ نراها تعالجه على الاقل في ثلاث أقاصيص ، وهي : الرحلة لن تكون ، و مذكرات مهاجر ، و اجنحة تخاف الشتاء .

فى « الرحلة لن تكون » قصة فتاة غريبة فى بيتها ، ومع ذلك لم يشعر احد بغربتها فيه ، فقررت الهرب منه لان صوتها الداخلى كان يحثها دوما على ذلك.

الوهم هنا في السعادة التي تحلم بها الفتاة خارج اطار الاسرة بينما الحقيقة تكمن في العيش داخل ذلك الاطار نفسه . ومع أن كل شيء في الواقع يدعوها الى البقاء في البيت حتى قطنها المفضلة عندها كانت ترسم لها بديلها حرف « لا » وبقدميها « نقطة استفهام » كناية عن الحيرة الكامنة في نفسها ، فانها قررت الهرب تحت سيطرة كابوس الوهم الذي استبد بها من كل جانب ... ولما وصلت المحطة أخذت « تبحث عن تودعه ، عن يقول لها : متى تعودين ؟ لا تتأخرى » (35) . وأحست بالدوار ينتابها ، وبصراع داخلي يمزق أحشائها ، فهي « تريد أن تشرب قهوة الصباح في فنجان أليف . تريد أن تعود الى الحي لتشاهد يقظته ... تريد أن تتحدث الى أمها في مواضيع بسيطة . تريد أن تحدثها عن الفطور ، عن خالها ، عن الايام الجميلة ، وعن الفساتين الناعمة » (36) . وتعدل عن الرحيل فقد كان اليوم الذي قررت فيه الرحيل جميلا ، و « الايام الجميلة - كما كانت تقول لها أمها - تزيد العمر لذة ، وتكسو القلب نضارة » (34) ، وعادت أدراجها الى البيت لان « الايام الجميلة يصعب فيها الرحيل . لتتقرب يوما مطرا يحلو فيه الرحيل » (36) .

وفي « أجنحة تغافل الشتاء » نجد قصة فتاة رمز لسقوطها الاخلاقي بسقوطها عن صهوة جنودها فاضطرت الى ترك المنزل لكنها اصطدمت بالواقع المر بعد أن وهمت في غمرة أحلام الجُمُوح والجنون العاطفي أنها ستجد الحياة التي بها تحلم . ولكنها - بعدما طوفت هنا وهناك - شعرت بالحنين الى منزلها الاول فعادت اليه راكضة ، ولكنها وجدت المنزل الذي ركضت من أجله « خاويا كالبطون الجائعة ، كالعيون التي يبست دموعها ، كالرؤوس التي فقدت أوكارها » (48) ، وجعلت تبكيه ، وتعد حجارته التي تكسو الارض ، والنمل الذي ينساب فوقها . وتذكر في نفس الوقت تلك الطفلة التي ترفض ان تنام قبل ان تستمع الى قصة « بيضاء كالثلج والفارس الجميل » (49) .

ويتضح الرمز الموحى بالهجرة في حكاية الطيور المهاجرة التي يذكرها المذيع متسامته مع القصة الرئيسية ، ثم في عودتها الى أوكارها مع عتبة الربيع . والشتاء في العنوان هو كذلك رمز لتلك الحياة الثلجية التي قضتها الفتاة بعيدا عن مهد الدفء والحنان ، عن المنزل الذي قضت فيه طفولتها مع أبويها

لكنها بسقوطها ذاك قضت عليهما كما قضت على مهد الدفء فصار خرابا
يبابا .

ويتخذ المكان في « مذكرات مهاجر » الوطن كله لا البيت فقط . وسبب
هجرة المكان هنا هو الضيق المادي أى الفقر ، لا الضيق النفسى أى القلق .
وقد وجد أدباؤنا المحدثون فى هذا الموضوع مادة صالحة لانتاجهم فأكثرُوا فيه
من الحديث عن أخطار الهجرة وآلام الاغتراب .

الوهم هنا هو أن المدينة الغربية هي الجنة الموعودة ، والحقيقة انها مدينة
غربية من مدن « الحضارة التى تكبو » ، والعيش فيها صعب . هذا ما يكتشفه
بمرارة مهاجر لم يجد ما يعمل الا غاسل صحون . فبينما هو يعيش الغربة فى
بلاد الغرباء ، ترتع فى بلاده الحسان على الشواطىء الجميلة يلتقطن صورا
تذكارية ويركبن جملا محظوظا ويتسمن لقائده البسيط « (72) . وبينما
تملا التخمة جنبى ذلك الكاب الساكن قرب سيدته العجوز يشكو بطنه هو
الجوع والحرمان . انه الرفق بالحيوان والكفر بالانسان فى حضارة الانسان .
وعندئذ فقط تستيقظ فى نفسه هذه الحالة لتكون ايدانا بالعودة الى
الربوع الميمونة : « الهرق قض من الحديد يحويك ... وسط الضوضاء كنت
تسير ... فى رأسك واحة خضراء تركض ومام وقراقى وكأس شاي تعلوها
فقاقيع ذهبية ... وأنت تمرح ... طفل صغير ... ثم تمر شابا يافعا به توق
وانتظار » (74) .

وبما ان صاحبة المجموعة هي امرأة لا رجل ، فانها اهتمت فى العديد من
اقاصيصها بالقضايا التى تواجهها المرأة المصرية . وفى مقدمة تلك القضايا
قضية الحرية التى تتخذ عند امرأة نافلة ذهب أشكالا متعددة ، منها حقها فى
أن تحب بكل حرية . فهي تريد أن تكون محبة لا محبوبة فقط . انها طبيعة
العصر وما وفره للمرأة من حريات فى مجالات شتى . كل القوانين والشرائع
نبيح للمرأة حق الحب الا التقاليد فانها ترفض ذلك . هذا هو محور اقصوصة
« العوبة الشفقة » التى جاء فيها هذا الحوار الملخص لموضوعها : « أعلم أنك
تحبنى حبا حقيقيا لا تطمسه الشفقة ، ولكن أنا التى وقعت هذه المرة فى غزل
الشفقة لانسى أنا التى أشفق عليك . وتشبثت فى حيرة :
أنا راض بكل شئ ، أنا راض بشفتيك ، لاني أحبك .

وأجابته في حدة : أما أنا فلا أستطيع البقاء بجانب انسان أشفق عليه ولا أحبه ... وتابعت تقول : أليس من الانانية أن تسعد أنت بقربي وأشقى أنا لاننى أشفق عليك ولا أحبك ؟ قل ! ألا تريد أن أكون سعيدة كالآخرين ، ألا ترى انى لست سعيدة الآن ، ولكن يجب أن أسعد فى يوم ما « (15 - 16) .

ولكن هذا الوهم يصطدم بالحقيقة بعد شهرين فقط من هذا الحوار العاصف، فما ان تراه برحاب الجامعة وقد تعلقت بذراعه طالبة غريبة حتى يرتج كيانهما وتحس بطعنة تجلاء، تصيب منها الصدر الحالم بالحب . فى هذه اللحظة بالذات عرفت أنها تحبه ولا تشفق عليه . لقد خدعها قلبها اذن .. ولم تملك أمام هذه الحالة الا أن تستجيب لأول طالب عرض عليها مرافقتها ، فمشيت وإياه بلا حب ولا شفقة أيضا ، بل بشفقة على نفسها هذه المرة خوفا - وقد رفضت المحب يوما - من الوحدة والضياع والحرمان من الحب الذى تتصور ، ومن الشفقة كذلك .

القصة نقد ناجح لاوهم فتيات العصر اللائى ذهب بهن حق المرأة فى الحب ، تحت تأثير النظريات الفرويدية وأتباعها حتى انهم سموا عصرنا هذا بعصر الحب ، الى حد الجموح والخلط بين الحب الصافى المبني على التألف والانسجام والحب المبني على الوهم الذى سرعان ما يكشف بطلانه خاصة بعد الزواج . وهنا تكون الحيلة أمر وشدة

وفى الاقصوصة نجد أيضا قصة أخرى موازية للقصة الرئيسية هي رمز لها وإيحاء ، ذلك أننا - منذ البداية - نرى الحوار مركزا على كراهية الفتاة لأنها لأن هذه تفضل عليها أختها الكبرى وتدللها . وقد شعر الأب بهذا التمييز فأراد أن يعوض لابنته الحب الذى فقدته من الأم ، لكنها رفضت كل ذلك قائلة : « لو كان عاديا لقبيلته بصدر رحب ، أما وأنه مجرد شفقة فانى أنبذه .. أنا أكره الشفقة ... انى أبحث عن الحب المجرد ... » (14) .

وآلة الحياطة هي أيضا رمز للتحرر من التبعية والشفقة ، فقد كانت تود أن تتعلم الحياطة بمفردها حتى لا تلتجىء الى شفقة أختها فمنعتها الأم من استعمالها اى منعها من حق الممارسة لحريتها .

ولا يبعد موضوع أقصوصة «الأميرة النائمة» عن موضوع الاقصوصة السابقة وهو حرية المرأة ، اذ تنقد عددا من الفتيات اللائى يعشن على وهم انتظار أمير

القلب والحلم بالفارس الجميل . وتبعاً لذلك يرفض كل خاطب ... وفي النهاية يعشن العنس ويستعن على النوم باقراص النوم في وقت عز فيه النوم لانه أصبح عسيرا كالحياة . وتلك هي الحقيقة المرة التي لا مفر منها لكل فتاة يسكنها هذا الوم .

وتعالج أقصوصة « **القصر من القصر** » كذلك حرية المرأة العصرية . هذه الحرية التي يرمز لها قص الشعر ولبس الفستان القصير ، وكلاهما يرمز للحرية المزيفة كما تفهمها المرأة ، لان هذه الحرية ليست محدودة في الكشف عن الفاتن والتعري كان ليس للمرأة من مظهر تبرز فيه حريتها الا هذا المظهر وحده .

في الاقصوصة فتاة ألمها تناقض أمها . والام هنا رمز للتربية التقليدية بعامه فهي من جهة تتمسك بالشعر الطويل لانه يستهوى الرجال ، ومن جهة أخرى تكره الفستان القصير لانه يستهوى الرجال . ونتيجة لهذا التناقض بين جيلين وعقليتين قررت الفتاة أن تقص شعرها وتتخلص منه بالرغم من احتجاج أمها والحلاق أيضا ولا ننسى ان هذا رجل ، لكنها توقفت حائرة في أمر فستانها القصير . هل تطيله لتصد أعين الرقيب من النظر الى ما وراء الفستان القصير وفي ذلك نفى لحريتها وهذا وهم لا غير ؟ هل تتركه قصيرا كما تريد هي وللرجال معه حكايات ؟ ولكن ما بال الناس قد قبلوا قصر الوقت والعمر وأشياء أخرى ، ولم يقبلوا قصر الفستان ؟ ان وجه التناقض الذي اثار حيرتها وولد في نفسها صراعا لا ضرورة له هو ان « الوقت قصير ، وأمام الفستان القصير تطول النظرات ويطول التحديق ، الوقت قصير عن العمل والنهوض ، ولكن الوقت طويل طويل للتحديق في الفستان القصير » (39) .

لقد كان على هذه الفتاة ، وعلى أمثالها أيضا ، ان تقبل تصرف الرجل كما قبلت أن تقصر فستانها ، لان القضية تجاوزت فستانها الى غرائزه . فكيف تقبل قصر الفستان ولا تقبل طول التحديق فيه . ان التناقض كامن فيها هي أيضا ، لانها بفهمها المحدود للحرية عرضت حريتها كائن للتعصم مع حرية الرجل كذكر . وذلك لان قصر الفستان - وهذه حقيقة - لا معنى له لو لم يكن الرجل موجودا ، وبالتالي فلا جدوى من قصر الفستان بدون طول تحديق الرجال فيه . هذه هي القضية التي يجب أن تفهمها المرأة الفارقة في الوم حتى لا تثير حولها المشاكل لنفسها ولغيرها ثم تصرخ . أين حريتي يا رجال !

وإذ وصلنا الى هذه النقطة من التحليل أرى من الضروري أن أشير الى أن نافلة ذهب ليست من الكتاب المتحررين أسلوبا في تصوير المواقف الغرامية؛ فهي في ذلك محتشمة الى أبعد حدود الاحتشام ، جافة في تصوير المشاهد العاطفية الى أبعد حدود الجفاف . فلا ميوعة ولا تخنث . ولا أسفاف ، الي حد المبالغة في الجذأ أحيانا . ولعل كل هذا يعود الى أن شخصها كانوا يحبون بعقولهم أكثر مما يحبون بقلوبهم . قال الفتى يخاطب فتاته الشاردة : « ليتك تؤمنين بشعورك أكثر مما تؤمنين بتفكيرك ، لماذا تلتجئين الى التفكير ، وهذا الشعور يصدر عن القلب » (14) .

وأما تصرف فتاة الفستان القصير فيمكن حمله على أنه نوع من التحدي للمجتمع الرافض لمبدأ حرية المرأة ولو كان هذا التحدي أو هذا الجهاد في سبيل الحرية على حساب جسمها لكن في غير استهتار وتماجن .

ونمر بعد موضوع جهاد المرأة في سبيل حريتها الى مواضيع أخرى ، ففي « ثلاثة أيام » نجد صراع مريض بالمستشفى مع المرض خلال أيام ثلاثة هي يوم أجوف قضاء في غيبوبة ، ويوم سريع كان فيه يحلم ويهذى بصورة الجواد الراكض وهو رمز لواقعه في الحياة . ويوم حزين تحسنت فيه صحته أو هي انتفاضة الذبيح . وكاد الطبيب يحل وفاته لكن فجئت المريض جعله يرمي بنفسه من النافذة لان الباب كان محكم الاغلاق . وطار من النافذة كما طار العصفور الذي ترك سبيله يوما فضربته أمه ... لقد كانت تجهل ما تحس به الطيور ، أما هو فيعرف ذلك . وهكذا يكون مصير هذا المريض الذي كانت في رأسه ذكريات شفافة ، وأفكار مبعثرة ، وحزن قديم لا يتجدد .. وعبر أذنيه أصوات متباينة ... وكلام مر عسير « (63) . انه مصير الانسانية كلها، جهاد فاحزان فجنون فهلاك .

ويكون صراع « تساقط أوراق الخريف » من نوع آخر . هو صراع الانسان ضد الفقر ، والحلم بوفرة الاوراق النقدية التي ترمز اليها أوراق الخريف الصفراء .

في الاقصوة رجلان أحدهما رمزي وهو ذلك المملوء الحافظة نقودا لانه « رسم مشاريعه في تبسيط محكم ، وخططها بيديه الغليظتين » (69) . وثانيهما واقعي وهو البطل نفسه الذي لم يكسب من مشاريعه الا اوراقا تشبه

أوراق الحريف الصفراء التي تفرش الأرض لانه كان « يرتقى السلم المعوج ...
ويريد فقط أن يصل السطح ويرى السماء على كتب واسعة كالبحر ، والهلال
قاربا بدون مجداف ، والسكون نوما بدون أحلام » (68) .

فالرجلان وجهان لشخصية واحدة : أحدهما الحلم والثاني هو الواقع ،
وتكتمل الشخصيتان عندما يقول ثانيهما : « لأترقب الربيع ... اما الحريف
فأوراق ضائعة » (69) . وعلى هذا الأمل تنتهي الاقصوصة بترنيمة يهددها بها
نفسه كما تهدده الام طفلها بترنيمة النوم في المهد :

« هو ذاك الزمان اللولبي ، والايام مداره

هو ذاك السلم ، والاعوجاج مجرد وهم

هو ذاك الوهن الذي تحياه » (69)

والظاهر ان مشكلة هذا الرجل اذا صح تأويلنا للعائق في هذه الجملة :
« تحاسب نفسك مثل العائق أمام المقصلة » بالعاق لان العائق تؤدي هذا المدلول
ولكنها عامية . وعلى هذا الأساس تكون الجنابة المذكورة بعد سطرين هي جنازة
والده . قلت : اذا صح هذا التأويل فان الرجل يعاني من لعنة العقوق وهي
سبب مأساته وانهمامه على ما يبدو (1) .

وتصور أقصوصة « في الناحية الاخرى من النهر » الرمزية حمامة كانت
تحلم بالطيران الى الناحية الاخرى من النهر ، نهر الحياة ، واكتشاف ما فيه من
حياة أخرى لم تألفها بالرغم من رفض أمها وتحذيرها لها من الكواسر . وهناك
ملأت الجو أهازيج ، واذا كانت في الطريق عائدة الى وكرها لتخبر أمها عن
رحلتها الجميلة اعترض طريقها كاسر غرس مخالبه في رأسها فهوت على
الأرض « ليرسم جسمها الصغير على الرمل صورة جديدة هي كأقدم ما تكون
من الصور » (44) ، هي صورة أول جريمة على الأرض .

فلاقصوصة اذن تعالج تعرض السلام - وترمز اليه الحمامة - الى الخطر ،
ويرمز اليه الطائر الكاسر . وهذا هو واقع الحياة الانسانية منذ القدم : القوى
يأكل الضعيف ، والبقاء للأقوى . ولكن هل ترمز الحمامة أيضا الى تلك الفتاة
المغرورة المخدوعة بما وراء الاخلاق والقيم فلا ترفض لجوحها رغبة ، ولا
لنصائح والديها عصيانا ؟!

وتؤدى حكاية « الثعلب والارنب » هذا المغزى الرمزي نفسه فقد أغرى ثعلب أرنباً يوماً . وهما العدوان اللدودان . بالصعود اليه ليعامه اللعبة التي يهواها . و « جعلاً يلعبان اللعبة المحببة الى نفس الثعلب . لعباً مدة من الزمن وككل مرة كانت الغلبة للثعلب . كان الارنب يحاول في كل مرة أن يكسب اللعبة ، ولكنه يخفق في كل مرة . أحس بالهزيمة تصفعه ، وضاق به المنزل الكبير ، وأحس بالعزلة وهو في حضرة الثعلب فطاب منه بشيء من الغيظ : علمنى كيف أغلبك . فأبتسم الثعلب قائلاً : لقد علمتك ما فيه الكفاية ولكن .. تنفصك المهارة . فأجاب الارنب هامساً : هي التجربة فلاواصلها » (77) .

إن هذا النوع من الاقاصيص التي ترمز فيها الحيوانات الى العلاقات البشرية نوع أدبي ممتاز لانه يصلح للكبار فيجدون فيه الحكمة ، ويصلح أيضاً للصغار فيجدون فيه التسلية والتربية والخيال . وبالمناسبة فقد وجدت الكاتبة تشير الى الطفولة في كثير من أقاصيصها كما ضمنت بعضها ذكراً لاسماء بعض أقاصيص الاطفال المعروفة مثل عنز السميد ساقان ، والاميرة البيضاء ... فهل فى كل هذا حنين من الكاتبة الى أيام طفولتها ، أو هو الحرمان من طفولة سعيدة ، أو هو غريزة الامومة الكامنة فى أعماق المرأة ؟ ...

وتلخص أقصوصة « حكايتى والشجرة » ما فى المجموعة كلها من صراع ورمز ووهم . فد غرس طفل ووالده شجرة فى فناء المنزل لكنها كبرت وطالت أغصانها حتى ارتمت على سطوح المنازل المجاورة ، وتدلّت فى الشوارع ، فحرم بذلك الاب وعائلته من ثمارها وظلها ، وأصبحت لهم مصدر ضيق وعناء . وكانت نهاية الشجرة ان اقتلعها الوالد فى غيبة الابن بالرغم من انه هو الذى اقترح عليه ذلك فأبى ولما عاد الى المنزل أصابه القنوط لرؤية الشجرة جثة هامدة على الارض فقال له أبوه : لا تأس سنزرع شجرة أخرى ، وإن امتدت أغصانها الى السطوح المجاورة فسوف نقتلعها ونعوضها بأخرى . وهكذا كنا نعيش ، نقتلع شجرة ، ونزرع أخرى بنفس الصبر والامل » (61) . فأية شجرة هذه التى تذكرنا بصخرة سيزيف ؟ انها ولا شك الحياة التى تضنينا تعباً وجهداً ، ولكنها لا تمتعنا بشمارها وظلها بقدر ما نبذل فى سبيلها من الجهد والتعب ، على أن أحسن ما فيها هو الصبر والامل .

والشجرة هنا تذكرنا أيضا بسند غيلان في رواية محمود المسعدي . وما الاب والابن الا الاجيال التي حكم عليها بالغرس والاقتلاع المستمرين . بالكدح والعرق . وتلك هي قصة الانسان في جميع حالاته .

والاقصوصة الاخيرة في المجموعة هي « حكاية رجل يسير » وهي ذات بعد ديني . ولامر ما ختمت الكتابة . مجموعتها بهذا البعد بينما بدأتها ببعد فلسفي في « أعمدة من دخان » فهل في هذا الدليل القاطع على حيرة الانسان بين الفلسفة والدين ، بين العقل والقلب في حل قضاياها وتأويلها ؟

الاقصوصة قصيرة جدا ، فهي لوحة قصصية اذا جاز هذا التعبير . كتبت بأسلوب غنى الشاعرية صورت رجلا يحلم - دائما الحلم عند نافلة ذهب - بإيلة القدر التي وضع بين يديها كل امانيه :

« في ذلك اليوم كان باب الاماني مفتوحا على مصراعيه .

تمنى أشياء .. تمنى أشياء .

وسبح الباب يصفق وراءه .

وضحك الرجل ... ضحك فليلا وبصدره أمنية صغيرة رجت صدره
فخرجت من قلبه ، وسقطت على الأرض فتهدمت ، وتمدد الرجل بين
أشلائها » (33) .

الرجل هنا هو رمز التواكل ، والدين يرى من هذا الصنف . فما جلبت البسملة وقراءة الفاتحة عملا لعاطل (70) ، ولا دفعت جوعا عن جائع (73) ، ولا جلبت ليلة القدر أمنية لمتن . هذا هو الوهم القاتل للطموح في الانسان . أما الحقيقة فترى في الايمان الصحيح البر والتقوى وفي ذلك مصدر الطمأنينة الروحية والرضى النفسي (46) ، كما ترى فيه الكدح والعمل وفيهما توفير للرجبات المادية ، وكل ما عدا هذا فهو وهم كما مر .

وبهذا العرض التحليلي لآخر أقاصيص المجموعة أنهى البحث فيما سميته بالاحتوى . وقد رأينا فيه نافلة ذهب تعبر عن العديد من القضايا التي التقطتها عدستما الفنية ورأتها دون غيرها جديرة بالتسجيل ، ولم يكن الموضوع العام الذي صبت فيه تلك القضايا الا الحيرة الناشئة عن الاحساس بالاغتراب زمانا ومكانا ، روحا وعقلا ... وقد توخت في كل ذلك طريقة اعتمدت على التقابل بين الوهم والحقيقة ، وبين الرمز والواقع كما مر كل ذلك بتفصيل .

3 - القارىء والشكل

لعله من نافلة القول ان اذكر القارىء هنا وقبل تحسس الشكل الذى بنت عليه نافلة ذهب اقاصيلها ان اشير الى اننى سافعل مع اسلوبها - تبسيطا المفهم ، ووفاء لنفس المنهجية - ما فعلته مع المحتوى ، اى اننى ساجعل دراسة الشكل تعتمد على التفاضل بين عناصر حدودها فى اللغة والكتابة ، والوصف والسرد ، والشخصية والحادثة .

1 - اللغة والكتابة

ليس من العسير على قارىء نافلة ذهب ان يستنتج وضوح لغتها وبساطتها وشفافيتها . فهى تنساب فى خفة ورشاقة ، وتشى بالركة والسلاسة . ليس فيها غريب اللفظ ولا عامية ما عدا كلمتين او ثلاث مثل الميزيريا (70) ، وأوتوماتيكية ، وان كانت قد استعملت فى موطن آخر عوضها كلمة آلية (62) ، والعائق بمعنى العاق وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

وجمل نافلة ذهب جمل قصيرة ، وان طالعت فلول محدود جدا . هى قصيرة قصر اقاصيلها نفسها ، وقصر فستان صاحبة « **القصر من القصر** » ، ذلك القصر الذى انتقلت عدواه من الفستان الى الشعر ، الى الاقاصيل . كيف لا ، والقصر سمة العصر فى كل شئ ، انها السرعة تجتاح الانسان المعاصر فلم تترك له لحظة يهدأ فيها لذاته وفنه .

وقصر الجمل جعل هذه الجمل تتركب من اقل العناصر كما جعلها تستغنى عن أدوات الوصل والربط غالبا . فهى شديدة التركيز والايجاز الى حد الغموض ولا يملك القارىء مع هذا النوع من الاساليب الا ان يعيد القراءة من جديد جريا وراء كلمة هربت منه أثناء القراءة ؛ لان الكاتبة بالغت فى اخفائها والحال انها هى كلمة السر التى لا يعرف للقصوصة معنى بدونها .

والظاهر ان هذا الغموض - وهو نوع من الاساليب المتوخاة أحيانا - كان من الكاتبة قصدا واردة . اذ هى تتشيع - كما اشرنا - الى منهج أدبى معين هو المذهب السورىالى لذلك نراها فى اسلوبها تستعين بالرموز والاحلام

والخيال الواهم الذى يتجاوز الواقع الارضى والنفسى رغبة منها فى خلق عالم واقعى جديد يكون نغما للعالم الاول وتجاوزا له .

ونتيجة لادراك الكاتبة ما عمدت اليه من افراط فى الغرابة والرمزية والصناعة الفنية الواعية لجأت الى عنصر الايحاء الذى من شأنه ان يوضح عملها الفنى والهدف الذى اليه ترمى .

من ذلك أنها لجأت الى طريقة التوازي بان تذكر الى جانب الحدث السنى تقوم به الشخصية ، أحداثا أخرى موازية لها . وهذا شائع فى أغلب أقاصيصها . وقد أسير الى ذلك فى حينه مما سبق من التحليل .

أو تلجأ الى الاسترجاع - وهو غير محبذ دوما فى الاقصوصة - فتسوحى للقارى بما حدث دون ان تقول ذلك فى تصويرها للشخصية مثلما فعلت فى أقصوصة « **أجنحة تخاف الشتاء** » اذ رمزت بصورة سقوط الفتاة من صهوة الجواد الراكض الى سقوطها الاخلاقى ، وبصورة الطيور المهاجرة الى رغبة الفتاة فى مهاجرة بيتها .. الخ .

أو تكرر لفظة مثلما فعلت بكلمة التراب فى قصة « **دنيا ورقات** » وهى تدليل على أصل الانسان الترابى وبالتالى الإشارة الى حقارة عنصره الطينى . وبكلمة ورقات الخريف فى « **تساقط أوراق الخريف** » رمزا للاوراق النقدية التى لم تكسب . وهكذا فان المتأمل فى عمل نافلة ذهب يشعر بانها تكتب بصنعة مفرطة فتشيع فى أقاصيصها الغرابة من جهة والايحاء من جهة أخرى . والحق ان الجنس الادبى الذى تعالجه يتطلب منها الايجاز والغرابة والايحاء واكثر من كل ذلك .

وبالرغم من وضوح لغتها فان عبارتها مكثفة مضغوطة أحيانا فتكون عديدة الايحاء . فتركيب مثل « **جارتنا المظلة** » (SI) يعبر بدقة عن امرأة لازمتها المظلة حتى صارتا اسمين لمسمى واحد ، وشخصيتين فى شخصية واحدة .

وتمتاز عبارتها كذلك بنغمها الموسيقى حتى ليخيل الى القارى أنه يقرأ شعرا لا أقصوصة ، بل انه « شعر » فى عرف أصحاب قصيدة النشر . وأكاد أجزم بأن بعض أقاصيصها هى لوحات شعرية تفوق أشعارهم نغمية وموسيقى خاصة عندما توفر لها الاطار الخارجى كان تقسمها الى مقاطع بدون

عناوين أحيانا (مثلا أقصوصة تساقط أوراق الخريف) أو بعناوين (مثلا
الاميرة النائمة - وثلاثة أيام) .

ولو تتبعنا مصدر هذه النغمية لوجدناها تعود الى عناصر كثيرة أذكر منها
حسن اختيار الالفاظ الموسقة ، والتقديم والتأخير : « فى لون الارض كان
الجراد » (67) ، والتوازن : « كان العشب رماديا كأيام الشيب ، يابس كأيام
الجذب والقحط » (47) ، وتكرار بعض الكلمات التى يعتمد عليها المعنى
« هكذا تساقط .. تساقط أوراق الخريف .. يا أمى » (68) ، أو تجعل
الكلمة المكررة فى آخر الجملة لا فى أولها : « وتضمها الأرض فتغوص بين
جروحها المتعددة .. تغوص » ، ويعتمد التكرار - أحيانا - على ذكر الفعل أولا
والاسم من نفس الفعل فى آخر الجملة فتتعلق به الدائرة : « نسيت أن الحياة
تنمو عندما ينمو النسيان » (68) ، وكذلك فى قولها : « كان وجه رجل
أعمال .. غنى اليد كان » (67) وقد تتفادى التكرار بذكر مشتقات الفعل
فتحقق التدرج فى المعنى : « كانت اللطخة عتيقة ، وكانت صيحته أعنف .
أما السكون الذى شمل المكان من بعد فقد كان من أعنف ما يكون » (65) .. الخ .

وفى سبيل التلاوين الصوتية تنوحي نافلة ذهب التجانس بين الحروف :
« شربت الماء من زجاجة صافية ، والصفاء مسجون وسط زجاجة » (68) ، كما
يجلو لها - أحيانا - أن تذكر مقاطع فى صورة أبيات شعرية تدمجها وسط
الأقصوصة أو تضعها فى آخرها كأنها أناشيد جوقة الكورس فى المسرحيات
الفنائية ، وهذا ظاهر فى أقاصيص مثل « أجنحة تخاف الشتاء - قد زال
المطر - الاميرة النائمة - وثلاثة أيام » وقد تتحول الأقصوصة كلها الى أبيات
من الشعر النثرى مثل أقصوصتها الأخيرة « حكاية رجل يسير » التى هى
جديدة بأن توضع فى كتاب من الشعر المنثور لا من الأقاصيص .

على ان هذا الالاح الشديد على التنعيم الصوتى يوقعها أحيانا فى الغموض
والاغراب نتيجة التلاعب اللفظى فى مثل قولها : « الغرابة فى لقائنا ، أو قل
اللقاء فى غرابتنا » (7) .

ولو اردت - أخيرا - تشبيه أسلوب نافلة ذهب لوجدته أشبه براقصة
باليه تدور حول نفسها وتتقدم بخطوات سريعة خفيفة رشيقة ، فلا تكاد
تلمس الأرض بأطراف أصابعها حتى ترفعها من جديد لتقفز قفزة عالية . ثم

تعود مقبلة مدبرة دائرة متقدمة فى لطف شديد واغراء أشد ، كذلك جمل نافلة ذهب فى خفتها ورشاقتها فما ان تبدأ الجملة حتى تسلم القارئ الى أخرى اغراء له بالمتابعة حتى النهاية .

ب) - الوصف والسرد :

من المعروف أن الادب القصصى يعتمد - فيما يعتمد - على عنصرى الوصف والسرد . وهما عنصران متداخلان يصعب التفريق بينهما . ولذلك كثيرا ما يدمج الوصف والسرد . ولكنى سأضطر هنا الى التفريق بين هذين العنصرين تمشيا مع النظريات الحديثة التى لو لاهما لظل الوصف سردا .

لقد رأينا معا فيما سبق بيانه ، أن نافلة ذهب كاتبة تصنع أقاصيصها باحكام شديد ؛ فالكاتبة عندها تصميم هندسى متين البناء محبوبك الاجزاء . والاقتصوصة عندها بناء معمارى تبنيه لبنة لبنة بصبر شديد . وهى لا تكتفى بكل هذا ولكنها تزخره وتزوقه أيضا .

من ذلك أنها تستعين على الوصف بطرق التصوير المعتمدة على الصور البلاغية المعروفة . كاستعمال ألوان المجاز ، وأدوات التشبيه ، خاصة أداة الكاف التى تعتبر ظاهرة متميزة عند نافلة ذهب لأنها تتكرر بصورة ملفتة للنظر مع المشبه به تارة « كان النهر هناك براقا أزليا كالحياة ، كالحياة التى يسوقها عبر مياهه ، كالحياة التى تسرى وجبات رماله ، كالحياة التى تسكن فيه » (40) ومع مشبه آخر تارة أخرى : « كان خاويا كالبطون الجائعة ، كالعيون التى يبست دموعها ، كالرؤوس التى فقدت أفكارها » (48) .

والوصف عند نافلة ذهب يعتمد الى جانب ذلك الرمزية والرؤى والاحلام والاستغراق فى الخيال لثمهد بكل ذلك الى الحدث والحالات النفسية للشخص . وهذا ما يوصلنا الى حدود السرد وقد قلنا - أول هذه الفقرة - انهما متداخلان تداخلا يكاد يجعلهما كلا واحدا .

فالسرد فى أسلوب كاتبتنا ليس نقلا حرفيا للواقع خاليا من الحياة ، بل هو أحداث تتحرك فى اطار من الوصف الحى والصور المتحركة .

وإذا قلنا السرد قلنا الحوار الذى تعبّر به الشخصية عن الاحداث . وطريقة نافلة ذهب فى هذا العنصر متعددة الجوانب . وأولها ان الاحداث تسرد سردا خارجيا اى انها تستعمل طريقة الحكاية بضمير الغائب ، فتكون كأنها شاهدة لاحداث جاءت لترويها لنا . والثانية استعملت فيها الحوار الداخلى (المونولوج) فتأتى الاقصوصة كأنها اعترافات أو مذكرات . والثالثة استعملت فيها ضمير الخطاب فتكون الكاتبة فى حوار مباشر مع البطل ، وكأنها تقرر له أحيانا يعرفها من قبل أو تحاسبه على ما فعل . وهذا نجده مثلا فى « وجهك والنعل » و « تتساقط أوراق الخريف » و « مذكرات مهاجر » . والملاحظ ان هذا النوع من الحوار استعملته الكاتبة مع شخصيات ضعيفة مسلوبة الارادة . ولعل هذا هو الذى جعلها تنوهم فى سرد الوقائع ، وفى نفس الوقت توجه اليهم اصبح الاتهام لضعف فيهم وشلل فى ارادتهم .

ج - الشخصية والحادثة :

لقد مر بنا فى أول هذه الدراسة ان اقصيص نافلة ذهب تصور الحيرة والاعتراب ، ومن الطبيعى - إذن - أن تركز شخصياتها حائرة تعيش القلق من جراء ما تحس به من غربة عن بيتها ومجتمعها وعصرها أيضا . ولهذا كثيرا ما نلمس فى داخلها احساسا بالانقصام والانشطار الذاتى تحت تأثير عاملين : عامل الرضى بالواقع المرفوض ، وعامل التعلق بواقع مغاير للاول تماما . وهذا التعلق هو نتيجة حتمية لنداء ذلك الصوت الداخلى الذى لا يمكن حبسه ، كما أتى ذلك فى اقصوصة « الرحلة لن تكون » . قال لها : « صوت البحر يخفى كل الاصوات » فأجابته : « الا من أصوات تكمن داخلنا » (34) .

وهكذا وجدنا بعض الشخصيات التى أتيح لها أن تفصح عن مكنوناتها وتتعرب نفسيا . تقول : « كان الانقصام داخلى ، والتشتت فى كيانى ، والثلج فى عظامى . أفكارى المبعثرة تتسكع ، ترفض الاستقرار ، ويصعب على رصفها فكرة بعد فكرة » (48) ، أو تقول : « ابتلعت ريقى بعناء وكأنى ابتلع القطن .. وددت لو أذفغ بشئ الى الخارج ولكن الانقصام كان داخلى .. ومن أعماق قنوطى ناديت الشمس » (47) . أو تقول وقد أخذ بها السخط كل ماخذ فتناست كل القيم : « تحرك السخط داخلى وتعالى الصخب عبر صدري ،

وكانت ثورتى كلاما فيه الحرمان ، وفيه التوق الى الناحية الاخرى من
النهر ، (42) .. الخ ...

وكن هذا وغيره مما ورد فى الاقاصيص يعنى لدى القارىء أن شخصيات
نافلة ذهب شخصيات مازومة مهمومة لما تعانيه من وطأة القهر الذى فرضه عليها
الانسان والاضلاع الاجتماعية ، والقدر ايضا . ونتيجة لذلك نراها ذات مسحة
رومنسية دنيئة أنا ، صريحة أنا آخر .

وشخصياتها ليست لها اسماء ما عدا فى « العوبة الشفقة » حيث نجد
اسمين فقط حتى ان القارىء لا يمكنه أن يكون عنها صورة واقعية فهى
شخصيات رمزية تجريدية فى الاغلب ، ذات صورة ضبابية وهو ما يبعدها عن
الواقع المعاش ليجعلها بحق أعمدة من دخان فلا نتبين لها عوية سوى ما توحى
به الاقصوصة عما تعانى من قضايا ومشاكل . وهكذا تتعاون جملة من العناصر
لتجعل من اقاصيص نافلة ذهب من الادب الضبابى لو جاز لنا أن نطلق هذه
التسمية ، ولعلها تطمح من وراء ذلك أن يكون أدبها انسانيا عالميا لا اقليميا .
وهذا النصور خطؤه أكثر من صوابه لان الواقعية الصحيحة - كما أقول
دائما - لا تتنافى مع العالمية <http://Archivebeta.Sakhr>

وأما الاحداث فقد توخت الكاتبة فى صياغتها الطريقة المألوفة . بان تسرد
أجزاء الحدث تدريجيا لتجمعها فى بؤرة واحدة تحقيقا للعقدة وتشويقا للقارىء
للولصول الى الذروة . وعندئذ تنتهى الى الحل الذى يكون فى آخر الاقصوصة
تماما ، وعلى خلاف ما يتوقعه القارىء أحيانا ؛ ففي « أعمدة من دخان » مثلا ترى
الرجل يحمل المرأة على حبه منذ السطر الاول ، ويستمر فى هذا الطريق
جاءدا . وبعد حوار وصراع نراها يتفقان على التعاون وكأنه يتحول الى
صفها . وبدل ان نراها تكف عن النظر اليه عمودا من دخان اذا بها هى نفسها
تتحول الى عمود من دخان فتزداد شقة الخلاف بينهما بعدا . وكذلك فى
اقصوصة « العوبة الشفقة » ، فبعدها تأكد القارىء أن كل صلة بين الطرفين
غير موجودة ، وانهما قد افترقا تماما نرى المرأة فى الآخر تتحول الى محبة
لمجرد انها رأت فتاة اخرى تتأبط ذراع من كانت ترفضه .. وهكذا فى أغلب
الاقاصيص .

وأحيانا أخرى نرى الكاتبة تبدأ بالعكس أى انها تلقى الينا بالخاتمة ، ثم تأخذ فى توضيح الاحداث التى أدت اليها مثلما فعلت فى « القصر من القصر » وعذه طريقة أخرى من طرق كتابة الاقاصيص ، ويكون عمل الكاتب فيها تكريسا وتبريرا للنهاية التى أصبحت بداية .

ونهايات الاقاصيص نهايات حزينة ما عدا ثلاثا منها وهى : « الساعة - قد زال المطر - مذكرات مهاجر » وفى غالب الاحيان تكون النهايات معلومة لدى القارىء نظرا لكثرة الرموز الدالة على ذلك . وقد مرت بنا بعض الرموز التى اسرفت الكاتبة فى استخدامها استخداما ساعدا على الياء ، والشاعرية ، واضفاء جو من الغرابة والسحر على اقاصيصها كما قلنا .

وبما ان الصراع هو أحد العناصر الاساسية فى العمل الفنى عند ناقلة ذهب فان اقاصيصها جاءت مصورة له مما جعلها تكون درامية الاحداث ، مأسوية ، وربما ملحمة ؛ لان الطرف الآخر الذى يتصارع معه الانسان يكون عادة فوق طاقته مثل مصارعة المعانى الذهنية كالمعرفة والمكان والقدر ... وغير ذلك . ففشله مقدر عليه ، وانتهزاه متوقع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakimic.com

3 - القارئ والكلمة الاخيرة :

وماذا يمكننى أن أقول بعد كل الذى قلت ، خاصة ان هذه الدراسة قد طالط طولا غير متوقع ؟ الواقع ان نافلة ذهب - والحق يقال - كاتبة ذات خيال وقدرة فنية . واكثر من ذلك فهى ذات حساسية وحيرة . وما حيرة شخصها الا دليل على حيرتها هى ، والحيرة - كما هو معلوم - شرط أساسى للكتابة الناجحة .

وهى أيضا ذات أفكار تتراح اليها نفس القارئ ، لما امتازت به من اعتدال ونظرة انسانية لبعض القضايا التى عالجتها ، فهى تتعاطف مع الحائرين ، ولكنها تنقدهم لسوء تقدير او سلوك ولو كانت من المرأة نفسها ، لانها تفهم الحرية تقدما وخيرا لا انحرافا وشرا .

وما يلاحظ عليها كذلك هو انها ذات ثقافة فلسفية استفادت منها اكثر مما استفادت من دراستها القانونية . وهذا واضح من الذهنية المسيطرة على اقاصيصها . واختيارها لشخصية « دنيا ورقات » دكتورا فى الفلسفة ، ومن

استعمالها لبعض كلمات فلسفية مثل الماهية والانفصام ... الخ ... وبالطبع فهذا لا يحط من اعمالها انما هي ملاحظة أحببت تسجيلها لا غير . على انه يمكن أن أقول : انها في انتاجها ليست الا قاضية تحاكم الاشخاص والقوانين والنظم ، وليست بالضرورة ملزمة على استعمال لغة القانون ، وتصوير الجرائم التي يمكن لدلولها أن يتسع لما هو أبعد من القتل والسرقة وغيرهما .

ولا شك في أن تلك الذهنية كان لها اثر في شخصياتها التي انطوت على نفسها ففكر وتحلم وتخيّل ، مما جعلها مفرطة في الذاتية والفردية ، فآين المجتمع وقضاياها في أقاصيص نافلة ذهب ؟ وآين الروح الجماعية التي لا يستقيم أمر في الحياة بدونها ؟ بل اننا رأيناها في « حكايتي والشجرة » - اذا فهمناها فهما آخر - تأمر بقلع الشجرة التي « كانت المدينة تنعم بتلك الاغصان المثقنة ثمارا . كانت تتظلل بها عندما يشتد الحر ، وتحتمي بحطبها من قر الشتاء » (80) ، أو نجعل توقف المطر في « قد زال المطر » وهبوب العواصف المحملة للشجر في سبيل تحطيم الساعة الخبيثة المانعة من موعد غرامي ، تجعل من كل هذا أمنية عزيزة ، قد يكون ذلك رمزا . ولكن ذلك لا يبرر مثل هذا الاستعمال الا اذا فهمنا ما لجأت اليه على انه مطية للنقد فقد يجوز ذلك . وقد يعترض معترض فيقول ان قضايا الفرد هي قضايا المجتمع نفسه فأجيبه بانني أقصد من القضايا الاجتماعية تلك القضايا التي نرى فيها الفرد في مجتمع لا المجتمع في فرد . والفرق واضح بين الاثنين .

ولقد سألت نفسي كثيرا عن سبب هذه النزعة الفردية ، فهداني التفكير - لعلني اكون مصيبا - الى ان جنس الكاتبة كأمراة - بالاضافة الى ذهنيته قد يكون له دخل في ذلك . اذ من المعروف ان المرأة بالرغم من حصولها على كثير من الحقوق وخروجها من المنزل ما زالت خاصة في تونس تشكو من ضعف ارتباطها بالمجتمع ، ولا حاجة للتأكيد هنا على ان الخبرة هي من الشروط الاساسية للكتابة القصصية لانها تمكن صاحبها من الفهم الدقيق للابعاد النفسية والفكرية والاجتماعية لمختلف الناس ايا كانت صفتهم وشخصياتهم ومنزلتهم في المجتمع .

ولا يشك أحد في أن هذه الخبرة بالحياة ، وبالتالي ممارسة الناس في الواقع الحياتي لا في الكتب فقط ستمكن الكاتبة من النضج الذي سيخلصها من روائس قراءاتها « ويعمق مضمونها ويؤصل فيها . وبهذا كله تقدم لنا فنا

أصيلا ينبع من شخصيتها ومجتمعها هي لا من مضمون فلان ، أو أسلوب فلان . ولا اعتقد أن هذا يعسر على نافلة ذهب لان مجموعتها الاولى هذه تنبىء عن موجبة قصصية خليقة بالتنويه .

أنا أقول هذا لاننى رأيت مع القارىء فيما سلف ما وقعت فيه الكاتبة من عموض ربما جاءها من حرصها على الكتابة فى مذهب يستهويها ، أو تقليد للكبار . وبهذا تقع فى التصنع لا فى الصناعة . والتصنع أو الافراط فى الصنعة يحجب كثيرا من الحقائق عند القارىء خاصة اذا كان عاديا . ولا ننسى أن القصة هي فن الشعب . هو موضوعها وهي غذاؤه المحبب اليه .

ان نافلة ذهب لا تكتب للشعب ، وانما تكتب للصفوة ، ولهذا جاءت كتابتها عمسيرة الهضم . فهي - على ما يبدو - تؤمن بان القراءة لا تقل معاناة عن الخلق . وبدون هذا وذاك لا تتحقق قصة ولا قراءة . واذا كان هذا صحيحا الى حد ما فان الاصح منه هو ان نحمل القارىء على فهمنا . وبذلك يتحقق الحوار ، لا أن نصرفه عنا ، ونفلق فى وجهه الباب . وقد بينت لنا التجارب أن خلود أدب ما لا يتأتى مما فيه من الاحاجى والالغاز والمعميات ، وانما من سمو معانيه وصديق تصويره للنفس البشرية ، ومن أسلوبه الرائع الذى يخاطب كل الناس ، وفى كل الأزمنة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نصيحتي - اذن - لنافلة ذهب - اذا جاز لى أن أكون ناصحا هنا - هي ان تتواضع فى فنها ، أن تفهم أن الادب يسر لا عسر . ولا أقصد باليسر الابتذال ، بل أقصد به ذلك الادب السامى الرفيع مضمونا واسلوبا ، ذلك الذى سموه قديما بالسهل الممتع . فانا شخصا - ولست مقياسا على أية حال ، وبعد كل ما قمت به من تحليل - لست أدري هل فهمت حقا كل ما فى المجموعة من معان بالرغم من اننى سعلت بقراءتها لما اشاعت فى ذهنى من حوار مثير مع نصوصها ومع نفسى أيضا . فاذا كنت قد فهمتها فأهنيء القارىء الثانى والكاتبة ، بما حققته بينهما من تعارف . وان لم يكن مصيبا فيما ذهبت اليه فعنرى أننى حاولت ، وما على القارىء الثانى الا ان يحاول الصعود الى « أعمدة من دخان » . وما الذى الصعود ومحاولة التجربة كما جاء فى حكاية « الثعلب والارنب » وهذا غرضى الاول من هذه الدراسة .

محمد الهادي المطوى

تونس فى 7 - 6 - 1979

نور الدين بن بفسام

أَبْنُ عَبَّاسٍ

كان خالد قادما الى عرس صديقه مبروك . وكانت المسافة التي تفصله عن دار العرس ما تزال طويلة ، فضغط على محرك السيارة لتزيد في سرعتها . ومع اقترابه بدأت دقات الطبول تبلغ أذنيه مختلطة مع طلقات البنادق . ورغم ضجيج السيارة والريح المعاكسة لاتجاهه فقد استطاع أن يميز من بين الاصوات أغنيات جماعية نسوية ، ومن حين لآخر تصدم أذنيه زغاريد ونهيق أحمر أو صهيل خيل .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لم يندم خالد على قدومه في سيارته رغم خوفه عليها من الصبيان الذين يكترون عادة في الاعراس والمآتم . فلا بأس أن يظهر في مظهر الفخامة والابهة بين أقاربه ومعارفه ، فهو قادم حديثا من فرنسا ، جاء ليقضى عطلة الصيف مع أبيه .

وتحسس جيبه الداخلي بينما كانت الاخرى تمسك بال مقود ، أخرج علبة سجائر فاخرة فوضعها في مقدمة السيارة حنو البلور وأشعل منها لفافة ، وتحرك في كرسيه ليتمكن من الجلوس أكثر ، واصطدم مرفقه بألة التصوير ذات الصنع الالماني ، وهي تتدلى من فوق كتفه ، فاحس بشعور الارتياح ، وبفرح داخلي بهزه ، وصمم على ان يأخذ مناظر رائقة لحفلة العرس التي سيحضرها ، سيصور الهودج ، وموكب النساء وراء الجمل وأثناء الرقص والغناء . وسيصور الفرسان أثناء لعبهم ، والرجال وهم يرقصون ببنادقهم رقصا موقعا على رجل واحدة معتدين بأنفسهم ، ثم يختمون الرقصة بطلقة

البارود . واعتقد فيما بينه وبين نفسه أن هذه المناظر ستروق لصديقه
« سوزان » ! آه كم يحب سوزان ...

تعرف عليها منذ أربع سنوات في باريس ، وصمم على أن يتزوج بها أحب
والداه أم كرما ؛ فهي التي أسعفته عندما طردته الشركة التي كان يعمل بها .
وقد أرادت أن تتخلص من أمثاله من العملة النازحين حتى توجد أماكن
الشغل لشبان البلاد ، والتقطته « سوزان » من الشارع وهو هائم على وجهه ،
وأوته في بيتها ، ولولاها لقتله البرد في ذلك الشتاء الذي طرد فيه ، وقد
استطاعت أن تمكنه من عمل محترم ، واستطاع بفضلها أن ينسى وحشة
الغربة ، ويشغل نفسه بحبها حتى يتناسى الأهل والوطن وملاعب الحلان .
وهو ما يزال يفكر في تلك الصدفة الغريبة التي لاقته بها ودفعته الى أن يقوم
معه بجولة على نهر « السان » كما لو كان صديقا قديما لها . واثرت تلك الجولة
باح لها بما يعاينه فبكت عندما رآته يبكي ... فمناظر العرس التي سيلتقطها
لا يشك في أنها ستعجبها وستجعلها تحلم بشموس لم تولد بعد ، وتبنى في
خيالها عالما أسطوريا لم تنش فوقه أقدام الزمن طالما حدثته عن اعجابها
بافريقيا وبعباداتها وعادات أهلها . وقد دفعها هذا الإعجاب الى أن تتلقى
دروسا في الرقص الزنجي ، فالطبيعة الافريقية ساحرة كما تراها في الافلام ،
وهي تهوى الانطلاق والعيش كالانسان الأول ، لأنها ملئت أعين الناس ، وملت
حديث القادمين الى عاصمتها عن نهر « السان » ونوتردام ، وعن المسارح
والملاهي . وملت المظاهرات الكثيرة والتطاحن بين الاحزاب السياسية
والتنافس على الحكم ، كل ذلك كان يثير في نفسها الشعور بالقلق وتود أن
تنفرد بهذا الافريقي في غابة من غابات بلاد الشمس خاصة أنها وحيدة ماتت
أمها ، وهرب أبوها مع عشيقه أمريكية ، وتركها تشغل بائعة زهور . وكادت
السيارة تروغ في حفرة ماء ، ويحدث مكروه لو لم يسرع الى الضغط على
فراملها ، فكادت تتوقف وانتبه الى أنه وصل ، فقادت السيارة الى أمام الحيمة
المنصوبة حيث يجلس الرجال ، وهب اليه أهل العرس واستقبلوه بحرارة .
ورأى خالد بعض الرجال يشتغلون بالذبح والسلخ ، وبعضهم يربط خيل
وبهائم القادمين الجدد . وبعض النسوة يشتغلن بطهي الطعام وبعضهن الآخر
يفركن الكسكسي في قصاع واسعة ، وقد انتصبت وسطهن برمة عظيمة
الحجم فوق ثلاث حجرات تحتها أخشاب حطب لاهبة ، وبعر ابل وغنم يتوقد
كفتائل الزيت ، وفي الناحية المقابلة جمع من النساء والرجال يرقصون على

نقر الطبل ، وقد اختلطت الزغاريد بالتنداءات وبطلقات البارود وبنباح الكلاب على القادمين وبصهيل بعض الخيل ونهيق بعض الاحمرة .

فاهل العرس كل منهم مشتغل بشأن ، وكلهم في هرج ومرج . ولكن رغم ذلك فعلائم البشر بادية على الجميع ، وحضر الطعام فتعشى الناس والشمس ما تزال طالعة ، ثم بدأ الظلام ينزل فبادر اهل العرس باشعال الفتائل والمصابيح ، وقدم أحد الرعاة الى العرس وكان يجبر خلفه ثعلبا كان قد مسكها اثناء النهار ، وجاء بها ليتفرج فيها الناس ، وليضحكهم على ذيلها الطويل ، وحالما رأى الاطفال الراعى والثعلب تسارعوا واحاطوا بهما ، وشرعوا يهمزون الثعلب حيناً ، وحيناً يجذبونها من ذيلها وهم يصفقون ويضحكون . وكانت الثعلب خائفة مرتاعة ، وكلما سمعت طلقات البنادق انصرت وحاولت التملص من الحبل ، فيمسكها الراعى من عنقها ويشدد عقدة الحبل عليها . ثم جرّها بقوة الى الحيمة التي يجلس فيها الرجال قبالة النساء ، فاستغل خالد الفرصة واخذ لقطة للراعى والثعلب والصبيان وخطرت بباله فكرة بدت له كأطرف ما يكون فاقترح على « أمك مبروكة » أن تأتي له بعقود النسوة الذهبية وأقراطهن لكي يلبسها كلها للثعلب ، فلقطة طريفة كهذه ستعجب « سوزان » فساطلت النسوة ، ولكنهن - في النهاية - استجبن لالحاح العجوز . واحتار الرجال في أمر خالد لكنهم لم يعارضوا رأيه فيما عزم عليه فهو ضيف مبدل جاءهم بعد غيبة سبع سنين فعليهم واجب ارضائه .

كدست « أمك مبروكة » أقراط الذهب والشناشن والعقود امام خالد بعد أن أحصتها ، وشرع هذا باعانة الراعى والعجوز يحفل الثعلب بالجواهر ، ويضع العقود في رقبتها . ويدخل الاساور في أرجلها . ثم يربطها بخيوط رقيقة حتى لا تظهر في الصورة ، واقتلع خالد من عصا الراعى مسمارا بارزا وناوله المرأة العجوز وطلب منها أن تثقب أذني الثعلب ففعلت وعلق خالد بهما مجموعة من الاقراط ، ثم ثقب بنفسه شاربى الثعلب وعلق بهما مجموعة أخرى من الاقراط كما تفعل ذلك النساء العجريات في القبائل المتوحشة . وعلق في ذيل الثعلب الشناشن الذهبية وأسراب العقيق . ونادى بفرح الراقصين والراقصات والرجال الجالسين في الحيمة وطلب منهم ان يصطفوا حتى يلتقط لهم بعض الصور مع هذه الثعلب العروس . وقف اهل العرس متراصين متزاحمين ، فجلس بعضهم وتقرص بعضهم . وبحث كل واحد عن المستحيل

ليجد لنفسه مكانا في الصورة . وجلس الراعى فى المقدمة يمسك بحبل أوثقت به الثعلب ، ووقف خالد على بعد مسافة ، وأحس أنها الصورة المثل التي ستهز أعماق « سوزان » وستقنعها بأن أرضنا من ذهب ، وبأن الخير يفيض فيها ، وبأن الانسان فيها قد تطور فى الفكر والعيش ، فحتى الثعالب صارت فى بلادنا تكسى بالذهب . وأشار خالد بيده أن اسكتوا فساد صمت عميق كاد يفسده صوت بومة ناعقة . ثم وضع يده على الزر ، فاشتغل الراعى بشكل آلة التصوير ، وكان لم يرها قبل ، وهزه الحلم الى حياة جديدة تختلف عن رتبة حياته ولمع برق من آلة التصوير عندما ضغط عليها خالد ، ففجعت الثعلب واهتزت الى أعلى اهتزازا قويا ، فارتخت عقدة الحبل ، وتملصت الثعلب وهربت ودخلت الظلام ، فتداخل الناس ، وتصايح الاطفال ، وولولت النسوة وضربن أيديهن على ركبهن وصدورهن وتشاءمن بالعرس والعروس . وجرى الرجال فى كل ناحية بحثا عن الثعلب ، فلم يستطيعوا الاهتداء اليها لشدة الظلام .

واستعانوا بالكلاب على البحث فأطلقوها فى كل ناحية وجروا خلفها فلم يعثروا للثعلب على أثر . وتيقن الناس أن الثعلب قد دخلت غارا من غيران الجبال المجاورة ، فندبت النسوة خدودهن حزنا على ذهبن الضائع . وطأطأ خالد رأسه عندما ناداه أحداهم ساخرا :

- يا أبا ثعلب عليك أن تدفع دية الحلى !...

فتكلم رجل آخر فقال :

- يا لها من ثروة قد حملتها الثعلب !

فعلق رجل ثالث فى لهجة ذات معنى :

- سنتنظم الثعالب احتفالا مشهودا هذه الليلة .

فأضاف رابع :

- كيف لا تحتفل وقد خرجت من فقرها نهائيا .

وبحثوا عن خالد فلم يعثروا له على أثر .

نور الدين بن بلقاسم

التليمة وكلمة ساذ

كان في العقد الثالث من عمره ، أسمر البشرة فاره الطول ، مقبول الهيئة ، في مظهره رجولة ، تربى في أسرة فقيرة ماتت أمه وتركته صغيرا وقد تزوج والده بعد موتها بنحو عام . ورغم أن زوجة أبيه لم تكن سيئة في معاملته فإنه كان يتهيبها ولا يميل للجلوس إليها أو الحديث معها .

وبسبب ما عاناه من مرارة الفقر واليتم فقد شب منطويا على نفسه ، فكان قليل الكلام ، لا يميل إلى معايشرة الناس أو الاختلاص بهم ، قليل الثقة بهم ، وهو باستثناء ذلك كان مستقيما في كل شيء تقريبا يكاد يكون نسخة من أبيه .

كان ناجحا في دراسته وفي جميع مراحلها . وكان أول مجموعته دائما .

وقد كلفت دراسته والده الكثير . وفي العديد من المرات كان يضطر للقيام بأعمال اضافية الى جانب عمله الاصل كخادم بمقهى حتى يوفر له حاجياته التي كانت تتزايد سنة بعد سنة كلما تقدمت به السن وقطع في دراسته شوطا جديدا .

وبعد كثير من الجهد والسهر تخرج أستاذا للغة العربية والتحق بالعمل بالمدارس الثانوية .

وتنقل للعمل بين عدة مدارس . وكان موضع إعجاب وتقدير بها جميعا . وأخيرا استقر به المقام بمدرسة مسقط رأسه .

كان برا بأبيه وأخوته سواء الاشقاء منهم أو أخوته لأبيه . ولم يكن يبخل باهتمامه على زوجة أبيه وإن ظل شعوره نحوها غير واضح تماما . لم يكن يحبها أو يكرهها . وهو يحترمها لاستقامتها وطيبتها ، ولما تبذله من جهد دائب لا يكل من أجل توفير أقصى ما تستطيع من أسباب الراحة والاستقرار لجميع أفراد الأسرة .

ومنذ تخرجه أخذ يعمل كل ما في وسعه من أجل إسعاد أسرته وتعويضها عن سنوات الفقر والحرمان . ولم يفكر في الزواج أو يرغب فيه برغم قدرته عليه ، وبرغم إلحاح والده وزوجته . وقد توسطا لديه ببعض الأقارب والمعارف عندما عجزا عن إقناعه ، وبرغم ذلك ظل على موقفه لا يتزحزح عنه ، وحتى عندما كانوا يطالبونه بإبداء الأسباب التي تدعوه إلى الرفض يلوذ بالصمت .

كان عزوفا عن المرأة بطبعه مع أنه كان عاطفيا جدا ، شديد التأثر والانفعال ، خصب الخيال ، كثيرا ما يرفض أن يعيش في دنيا الواقع .

وبدأت سنة دراسية جديدة واختير لتدريس السنتين الخامسة والسادسة.

وبأحد أقسام السنة الخامسة لفقت نظره فتاة في الثامنة عشرة من عمرها ، معتدلة القامة ، بارزة الصدر ، ممتلئة الأرداف ، شقراء ، طويلة الشعر ، في وجبها استدارة دافئ عينيها ورقة سناخرة سحر مياه البحر ، في يوم من أيام الصيف اللاحقة ، لفقت نظره إليها بجمالها وبساطتها وعفويتها وأناقته التي تجلت في حسن اختيارها للملابسها ونوع تسريحة شعرها ، كانت ذكية خفيفة الحركة ، مرحة ، سريعة الضحك ، سريعة الغضب وسريعة النسيان كذلك .

كلما اصطدمت نظراته بنظراتها أشرق وجهها بالابتسام في براءة غير مصطنعة زادته اقترابا منها .

كأنت تكثر من سؤاله ومناقشته ، وكثيرا ما أخرجته بأسئلتها ، وبرغم أنه كان يتجنب دائما الدخول في جدال مع الفتيات بل وكثيرا ما عمد إلى تجاهلهن فإن هذه الفتاة عرفت كيف تسترعى اهتمامه بل وتشدد انتباهه إليها .

وذات يوم على أثر انتهاء حصّة الدرس وبينما كان يتهيأ لمغادرة القاعة تقدمت منه وببدها ورقة مطوية مدتها إليه وهي تقول بصوت رقيق وثغرها بفتر عن ابتسامة كاشراقة الفجر :

- أرجوك يا أستاذ قراءة هذه السطور وابداء رأيك فيها ان كان وقتك يسمح لك بذلك . وشملها بنظرة سريعة ثم تناول منها الورقة دون أن يقول لها شيئا ، وقد التف حولهما بعض التلاميذ . وعمست ابتسام قائلة : شكرا... ثم أسرعت بالخروج في حركة نشيطة رشيقة كأنها تهم بالعدو أو القفز كظبية في الغلاة تقفز مرحا احتفالا بمقدم الربيع في عام خصيب .

وعاد الاستاذ الى منزله وبعد تناول الغداء جلس ليشرب كأسا من الشاي الاسود وليدخن . وتذكر تلك الورقة فنهض الى محفظته وأخذها منها وجلس في استرخاء على المقعد الوثير ، ومضى يقرأ ما كتب عليها من كلمات .

كانت عبارة عن رسالة من فتاة الى حبيبها تبثه فيها اشواقا وتشرح له فيها احساسيسها ومشاعرها وما يضطرم بين جوانحها من صادق الشوق والوجد والحنين . وتصور له فيها مدى ما تلقاه من عناء وآلم في البعد عنه .

كانت كلمات الرسالة قليلة لكنها كانت رقيقة بليغة تنقد حرارة وعاطفة . وشعر بقلبه يخفق بقوة وعنف . انها أول مرة يخفق فيها على هذا النحو . وخطرت بباله خاطرة سرعان ما أبعداها عن فكره ، وبكبير من التحفظ والحذر وبقنب خافق ويد مضطربة دون ملاحظاته بحاشية الورقة . ثم وضعها بجانبه واستند على ظهر المقعد ، وراح في شبه إغفاءة .

وفي الغد - وقبل بدء حصة الدرس - ذهب الى تلميذته في مقعدها وسلم اليها الورقة في صمت وقد شعر وهو يمدحها اليها بأن يده تضطرب ، وحرارته ترتفع ، ودقات قلبه تزداد عددا قالت : شكرا يا أستاذ ...

وشرع في الدرس ، وكان الشقية أرادت مداعبته وأحراجة فسلته في صوت يتضوع منه شذى الانوثة المبكرة وتكاد الكلمات من رقتها تذوب فيه :

- لم تقل لي رأيك يا أستاذ ؟...

واعترته عزة خفيفة لسؤالها المفاجيء . وقال وهو يتحاشى النظر اليها متظاهرا بأن الامر لا يستحق اهتماما :

- لقد كتبت رأيي على هامش الصفحة الاولى .

وعاد الى متابعة الدرس بفكر شارد وقلب سريع الحفقان .

ومر أسبوع ، واستمرت فى ملاحظته بأسئلتها واستفساراتها وابتساماتها الرقيقة الناعمة ، ونظراتها الحاملة المتكسرة . وانشغل بالتفكير فيها . وأخذت صورتها تلاحقه فى كل حين وكل مكان . وذعر وهزته الحقيقة العارية . انه يحب تلميذته ، لم يعد لديه أى شك فى ذلك ، واعتراه احساس غامض غريب هو مزيج من السعادة والالم فى وقت معا !..

أيعقل أن يتعلق قلبه بفتاة أو امرأة وهو الذى عاش لا يؤمن بالحب الا بمعناه الواسع الكبير ...؟

هل أصبح عاشقا حقا يسعى الى المرأة ويحلم بها ويتوق الى الحياة بقربها مثل غيره من عباد الله . وهو الذى عزف عن الزواج ، ونذر نفسه للعزوبة ، وأغلق قلبه دون كل أنثى ...؟

لقد حدث فعلا ما كان يحذره ولا يتصور حدوثه أو يرغب فيه .

ومع مطلع الاسبوع الثانى من تسلمه لرسالتها الاولى تقدمت اليه فى خطوات سريعة اهتز لها صدرها الفاضل بينما كان يتعمشى فى أحد أروقة المدرسة فى فترة الاستراحة بين التروس ، ومدت اليه يدها بورقة جديدة فأخذها منها فى لهفة وفى حركة سريعة وكأنه يحتفظها اختطافا .

وهمست : « مرسى !! » .

وانقلبت راجعة من حيث أتت فمضى يشيعها ببصره حتى توارت بين جموع التلاميذ فى ساحة المدرسة الفسيحة . وأشرق أساريره ورقص قلبه طربا .. لم يكن يتوقع أن تعود للكتابة اليه بهذه السرعة . وها هى ذى قد فعلت .. لقد عاش ينتظر طوال الايام الماضية بكثير من الشوق والتلهف والقلق أن تأتى اليه برسالة جديدة لمراجعتها وابداء رأيه فيها .

وحدث له مع الرسالة الجديدة ما حدث له مع الرسالة الاولى تقريبا وهى شبيهة بها ، ولا تكاد تختلف عنها كثيرا . وأعادها اليها مرفقا بها ملاحظاته التى حرص على أن تكون معبرة عن رأيه كاستاذ . لكنه فقط اجتهد فى أن يكتبها بالحبر الاخضر وبخط أنيق جميل . وازدادت العلاقة بينهما فى الفصل توطدا ورسوخا ، وكل يوم يمر يشعر معه بأنه يزداد منها اقترابا . وقد دأبت

على توجيه الاسئلة اليه ومناقشة مواقفه من بعض القضايا الادبية التي كان يطرحها خلال حصص الادب العربي .

كان في البداية يتضايق من ذلك ويتحرج ثم شيئا فشيئا أخذ يشعر بسعادة عظمى بالتحدث اليها ومناقشتها . وكان يحلو له أن يطنب في الرد على أى سؤال توجهه اليه .

وذات صباح وبينما كان يستعد لالقاء درسه في الادب العربي القديم الذي كان يدور حول الشعر الجاهلي ، نهضت من مقعدها وتقدمت اليه في خطوات سكرى بالفتوة والجمال وألقت عليه تحية الصباح في صوت رقيق منغم . ثم مدت اليه يدها بورقة جديدة وهي تقول : أرجو ألا تكون هذه الوريقات سببا في مضايقتك أو إضاعة وقتك الثمين فاعذرني على أية حال ...؟

وخفق قلبه بعنف . ومد يده . وأخذ منها الورقة الصغيرة المطوية دون أن يفوه بكلمة ، وابتسمت له ابتسامة سريعة وهتفت وهي تعود أدراجها :

– آمل ألا تكون متضايقا مني ...

فابتسم ، وقال في صوت هادي :

– لا أبدا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما رجع إلى البيت عند الظهر بادر بإخراج تلك الورقة من محفظه وجلس لقراءتها ، بينما كانت زوجة والده تهيم له الطعام على المائدة . وقراها وأعاد قراءتها مرات ومرات وخفق قلبه طويلا حتى خيل اليه أنه سيتوقف عن الحفقتان .

ونهض من على المائدة وذهب إلى غرفته متعللا بأنه يستشعر بعض التعب وأنه يفضل أن يستريح قليلا قبل الغداء .

وتمدد على الفراش في استرخاء لذيذ ومضى يستعيد كلمات الرسالة كلمة كلمة .

لقد كانت في صياغتها وطريقة أسلوبها تماما كالرسالتين الاوليين وهي مثلهما كذلك لم تكن تحمل اسم الشخص المرسل اليه لكنها كانت أكثر منهما حرارة ووضوحا وأكثر اطنابا وقد أصبح على يقين الآن أكثر من أى وقت مضى من أنه هو المعنى بهذه الرسائل .

وزغردت الفرحة فى اعماقه وشعر بتحول جديد فى كيانه .. أحس كأن ذاته تتمخض عن ميلاد انسان جديد .. نعم إنه سعيد الى حد لا يستطيع معه تصوير ما يشعر به من سعادة غامرة ، وحلق مع الخيال المجنح فى اجواء لا حدود لها ولا أبعاد فى دنيا جميلة زاهية جمعت بينه وبين من يحب .

ونهض من على الفراش نشيطا تندفق الفرحة ويطفح البشر من عينيه وجلس على المائدة يلتهم طعامه فى شهية وشراعة كأنه لم يتناول طعاما منذ أيام .

وهيا نفسه على عجل . ثم تناول حقيبته . وغادر المنزل . ومضى يضرب فى دروب المدينة على غير هدى .

انه لا يعمل عشية ذلك اليوم الا ساعة واحدة وما زالت تفصله عنها ثلاث ساعات تقريبا .

وسار ... سار طويلا حتى أجهد المسير فلجأ الى أحد المقاهى المنزوية الهادئة وجاس بعد أن طلب زجاجة من الكوكاكولا . أخرج من محفظته رسالة تلميذته ومضى يقرأ فيها مرة أخرى يتمهل وبعث وشعور من الراحة والسكينة يملأ نفسه وقد استوقفت نظره بعض الجمل فأعاد قراءتها عدة مرات :

« لقد أحببتك من أول يوم رأيتك فيه »

أحببت فيك رجولتك وسمرتك !

وصوتك الممتلئ قوة وفحولة .

ونظراتك القوية الثاقبة . وما كان يلوح فيها من ذكاء ، وثورة وقلق ، وفى أحيان كثيرة كان يعترينى احساس قوى حاد باننى من أجلك ومن أجل حبك وحده وجدت على هذه الارض ومن غيرك وبدون حبك لن يكون لوجودى أى معنى .

إنك يا حبيبى تعيش فى اعماقى ولا يخفق قلبى الا لك وبسببك .

وعلى صورتك أستيقظ وأنام وليس لى من مطلق فى الحياة سوى ان يكون احساسك نحوى هو نفس احساسى نحوك .

هل تصدق أننى أكاد أتحول الى انسانة مجنونة منذ أن وهبت قلبى لك ؟ لقد صرت أراك فى كل شئ . فى الماء الذى أشربه ، فى الهواء الذى

استنشقه ، فى النور الذى ابصره ، فى حمرة الشفق ... فى زرقاء السماء ،
فى صفاء الفجر ، فى تغريد الطيور ، فى ألوان الزهر وعبيره ، وفى كل ما
هو جميل .

تعال الى يا حبيبى وخذنى اليك لنكتب معا أنشودة حب عبقرية يرددها
الخلود من بعدنا . واذا أراد الموت بعد ذلك أن يأخذنا اليه فليفعل فانه لن
ياخذ منا غير الجسد وسوف يظل حبنا حيا على الدهر اعظم من الموت واخذ من
الخلود ..

وتنهى فى عمق وابتنسمت أساريه ورقص قلبه طربا وسعادة ، واشعل
لغافة وأخذ يدخن فى متعة ، وانتبه الى المارة والى الناس الذين يشاركونه
الجلوس بالمقهى والى السيارات المتدفعة هنا وهناك . وكان قد غفل عن كل ذلك
منذ أن شرع فى قراءة رسالة فتاته .

ونظر الى ساعته . لقد مر الوقت سريعا ، فوضع ثمن زجاجة الكوكا على
المنضدة وسار الى المعهد .

ومرت الايام .. وتابعت الفتاة كتابة رسائلها وتابعت هو الاطلاع عليها
وتدوين ملاحظاته بشأنها ثم إعادتها اليها . وتكرر ذات يوم - بينه وبين
نفسه - الاحتفاظ بأحدى تلك الرسائل . وعندما جاءت تستعيدها منه
إعتذر اليها بضياعها فابتسمت ولم تزد على القول :

- لا بأس إننى أحفظ كل كلمة فيها .

وزاد من اهتمامه وتعلقه بها . ولاحظ تلاميذ الفصل ذلك منه . وأخذوا
الامر فى البداية على أنه لا يبدو أن يكون اهتمام من أستاذ بأحدى تلميذاته
المتفوقات ، وأخذ يعتمد خلق المبررات لتبادل الحديث معها فى الفصل وفى
فترة الاستراحة وبين الدروس وحتى فى الشارع فى بعض الاحيان . وحاول
بشتى الوسائل اشعارها بحبه لها . وبدأ الهمس بين تلاميذ الفصل . ثم
انتقل الى بقية الفصول التى يدرس بها . وصار الهمس مسموعا . وأحس
الأستاذ بما يحدث حوله فدأبه شعور بالارتباك والحرج وحتى الحجل أيضا :
الحجل من نفسه ومن تلاميذه .

وبدا يطوقه شعور بالضيق والاضطراب كلما دخل الفصل وبدأ يثور
لأبسط حركة تصدر من أحد تلاميذه .

وتنبهت الفتاة لما حدث ويحدث حولها وبلغ الى علمها كل ما قيل وما يقال عنها وعن استاذها لكنها لم تهتم ولم تحاول تغيير موقفها منه . على عكسه هو ، فقد أصبح يحرص على عدم الانفراد بها سواء داخل الفصل أو خارجه . كذلك اجتهد على أن يكون حديثه معها جافا ومقتضبا كما صار شأنه مع بقية تلاميذه ، وألا يخرج في حديثه ومناقشاته معهم عن نطاق ما يلقيه عليهم من دروس .

كان كل التلاميذ يشتركون في حبه واحترامه وتقديره لكنهم بعد ما طرأ عليه من تحول أصبحوا يتهيبونه ويخشون مواجهته . وقد شعر بعضهم بالندم وتبكيك الضمير على ما فرط منهم في حقه وما أشاعوه من الاقاويل وإن كانوا فعلوا ذلك عن حسن نية .

وقد تأكد لديهم بأن قوة غريبة صارت تفصلهم عنه .

ومر اسبوع وهذا الهمس قليلا ... وسار كل شيء رتيبا عاديا .

وذات صباح وبينما هو يشرف في القاء درسه لاحظ مقعد فتاته خاليا . ودق قلبه على رغم منه . وانتبه احساسا بالضيق والاقباض لكنه سرعان ما استعاد سيطرته على مشاعره وتابع القاء درسه بصورة عادية وكان شيئا لم يحدث .

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

وانتهت حصص ذلك اليوم ورجع الى بيته وعشرات الافكار السوداء تنهش رأسه والقلق يكاد يعصف به : أتراها مريضة ؟ أم أن أسرتها منعته من الدراسة لسبب أو لآخر ، وقد يكون بلغ الى علمها ما أشيع عن الفتاة وعنه ؟ ولكن لو كان الامر كذلك لما تردد ولي أمرها في الاتصال به ، أو بإدارة المدرسة لنبحث عن مدى صحة تلك الاشاعات وهو ما لم يحدث ، الشيء الذي جعله على يقين بأن المسألة ظلمت محصورة في نطاق معين ، ولم تتجاوز بعض التلاميذ ، ولم تصل الى سمع الادارة أو الاساتذة لان أحدا منهم لم يشر ولو من طرف خفي الى هذا الامر .

ودخل في صباح الغد الى الفصل وقد بدا عليه الانهاك والتعب بعد ليلة قضاه دون نوم تقريبا . وبصورة لا شعورية استغرق النظر الى مقعد تلميذته الحبيبة فلم يجدها . وأحس بغصة في حلقه . ودق قلبه دقات سريعة متلاحقة وأخذ جسمه ينضج بعرق ساخن ، وشعر ببداية صداع ، وتهالك على مقعده ومضى يجفف العرق المتصبب من جبينه .

وظل جالسا في جمود وهو يتطلع الى مقعدها في شروود وشبه ذهول .

ومرت دقائق وانتبه من شروود فتحامل على نفسه ونهض لالقاء درسه بفكر مشئت مضطرب ومر يوم ثالث ورابع .. ومر اسبوع وتلميذته الغائبة لم تعد .

وضاق صدره وازدادت عصبيته بعد أن جافاه النوم وعافت نفسه الطعام . وبدأ يرعف السمع على غير عادته لعل كلمة شاردة من هذا التلميذ او ذاك تصل اليه فتريح نفسه المعذبة وتطمئن قلبه الذي يكاد يحترق . لكنه لم يظفر بشيء مما أراد .

وعند انقضاء الاسبوع الثاني أحس بأنه لم يعد يقدر على الصبر او الانتظار .. نعم انه لم يعد يقدر على الاحتمال أكثر من ذلك ويجب أن يكتشف السر وراء غياب فتاته . وواتته الفرصة في احدى الحصص . عندما ورد ذكرها في اشارة عابرة لاحد التلاميذ فاغتنم الفرصة المتاحة وسأل التلميذ وكان السؤال جاء عرضا ومصادفة : **بالمناسبة هل تعلمون شيئا عن سبب تغييبها ؟**

ويخيم سكون ثقيل على الفصل يضطرب الاستاذ ويبدو ذلك واضحا عليه . ويعود يسأل في لهفة وجزع جاهدا في اخفاء مشاعره ، لكن صوته المتهدج يفضحه ويبين انما يختلج بين جوانحه <http://www.egyptianbooks.com>

— هل حدث لها شيء ؟

ويدوى سؤاله في أرجاء القاعة الساكنة كأنه صرخة استفادة تصدر عن انسان يواجه الفرق ويستجمع احد التلاميذ شجاعته وقد أحس بما يتنازع استاذاه من ألم وحيرة وقلق وكان كباقي رفاقه في الفصل يحترم ألمه ويخشى وقع الصدمة عليه متى عرف الحقيقة لكنه وجد نفسه مكرها على الاجابة عن سؤاله . وقال في صوت يقطر مرارة وحزنا :

— لقد تزوجت يا سيدى من قريب لها يعمل صحفيا .

وسكت التلميذ لحظة ثم عاد يقول :

— لقد علمنا مؤخرا من بعض رفيقاتها ان تلك الرسائل التي كنت تصلحها لها لم تكن محاولات أدبية منها كما كنا نحسب جميعا . وانما هي مسودات

لرسائل كانت تبعث بها الى ذلك الشاب الذى يقال إنها كانت ترتبط به بعلاقة حب منذ أن كانت بالسنة الثالثة .

ويردد الاستاذ فى همس ودون وعى :

— هكذا إذن ؟!

ويخيم سكون بغيض على القاعة مرة أخرى ، ويشعر الاستاذ بأنه سوف يسقط على الارض ان لم يجلس ويرتم على المقعد ارتما ، ويناد اليه أحد التلاميذ ليقول له ، وهو يسلمه ورقة مكتوبة :

— اجمع من التلاميذ موضوع الانشاء الذى معهم ثم اكتب الموضوع الجديد على السبورة لينقلوه .
فى محاولة لشغل التلاميذ عنه بعض الوقت .

ويمسك رأسه بيديه ويسترسل فى تفكير مضطرب محموم . وقد أخذت الحمى تلهب جسده والصداع يعتصر رأسه عصرا حتى خيل اليه أنه موشك على الانغماء أو الغشيان ، بعد أن استراح قليلا نهض ، وكأنه يقتلع نفسه من على مقعده اقتلاعا ليكمل بقية الدرس بفكر غائب ونفس حزينة وقلب جريح . وقبل أن يرتفع صوت صفارة المدرسة بقليل معلنا عن انتصاف النهار وانتهاء فترة الدروس الصباحية لذلك اليوم قال لتلاميذه وهو ينظر الى سقف القاعة :

— سأطلب إجازة مرضية لمدة يومين أو ثلاثة حيث إننى أشعر بارهاق فلا تقلقوا لغيبتي وسأعود اليكم سريعا إن شاء الله .

وارتفعت أصوات التلاميذ بالدعاء له بالصحة والسلامة .

ودوى صوت صفارة المدرسة .

وحمل حقيبته والتفت الى تلاميذه قائلا وهو يخطو الى خارج القاعة :

— مع السلامة !!

ورددوا من ورائه جميعا :

— مع السلامة ... الى اللقاء ... معافى ان شاء الله .

وساروا من خلفه فى سكون كأنهم يشيعون موكب جنازة فقيد عزيز حتى
اختلطوا بجموع التلاميذ الصاخبة المتدافعة .

وسار فى الطريق ولم يركب الحافلة برغم ما كان يشعر به من إعياء .

سار والالم يعصف به يكاد لا يرى ولا يسمح شيئا مما يعج حوله . وإنما
هو عقله الباطن يقود خطاه الثقيلة المتعبة منكس الرأس محنى الظهر كأنما
يحمل على كاهله كل أثقال الدنيا وأوزار الحياة .

إن الفتاة لم تخدعه أو تغرر به . وإنما هو الذى خدع نفسه وغرر بقلبه .
لم تقل له اطلاقا ولو بطريقة خفية أنها تحبه . وإنما هو الذى صور له خياله
ذلك . لم تقل له : إنه المقصود برسائلها التى كان يقوم بمراجعتها والتعليق
عليها . هو وحده الذى توهم ذلك وحلم به ، ما أبشع الوهم حينما يتعرى أمام
الواقع ! . وكم يصبح الانسان صغيرا تافها عندما تخدعه حواسه ويضله قلبه
وتتخلى عنه حكمته فيشط به الخيال ويعيش بعض الوقت فى عالم جميل ملون
غير منظور ، وعندما يستيقظ على صرخة الواقع يجد نفسه فى بيداء قاحلة
جرداء لا ماء فيها أو حياة وإنما هو الفراغ والعدم والسراب .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

محمد الحموسى الخناشى

صدر أخيرا

« واحة بلا ظل »

رواية عمر بن سالم - 200 صفحة - 1500 مليم - نشر شركة
« صفاء » للنشر والتوزيع والصحافة

حفلة التخرج بنى بك الأبيض

وصل الطبيب الى بيت صابرة شجاع . الوقت مساء . الشمس غاربة ،
ثمة غيوم سخامية في الافق . ما هو في غرفة وردة . وردة اصببت بمرض
خطير جدا قبل أيام من تخرجها من الجامعة . همس الطبيب لوالدة وردة ،
صابرة شجاع بصوت خفيض جدا . تخيلت وردة أن الطبيب قال : اهتمي بها
هذه الليلة جيدا .
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

– ماما .. هل ذهب الطبيب ؟

– اجل يا وردتي الوحيدة . كانت تتحدث بهدوء تام وهي تناول الدواء
لابنتها .

– ماما . ارجو ان تكملی الثوب الابيض هذه الليلة . سألبيه في حفلة
التخرج من الجامعة مع زملائي .

كانت وردة تراودها فكرة رئيسية واحدة (سأبدو كملاك ابيض . سأخرج
من الجامعة . ترى من يقطف الوردة البيضاء بعد التخرج ؟)

– ماما .. ماما .. اذا قال الطبيب ؟

- لا شيء يذكر . ساهتم بك جيدا . ستلبسين الثوب الابيض حتما .
كانت الام متزفة تماما .

ها هي صابرة شجاع تمر بين الفينة والفينة على فتاتها . وتعود لتكمل
خياطة الثوب الابيض حتى نهايته .

الساعة الخامسة ليلا الان :

- وردة .. وردة .. الثوب الابيض اصبح جاهزا تماما .

قالت وردة بصوت وامن جدا : ماما .. كم انا سعيدة هذه الليلة . ما اجمل
هذا الثوب . ضعيه على السرير كغطاء رائع .

- ستفرحين جدا بالثوب في حفلة التخرج .

لم تسمع وردة العبارة الاخيرة بدا وجه وردة كالشمع تماما . تدلت يداها
من حافة السرير . كان الثوب الابيض يغطي جسدها المسجى على السرير
وقد نسيت ان تتنفس .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نزار عبد الجبار

العراق - موصل

مذكرات جندب في ليلة واحدة

الساعة السادسة مساء :

حركة لا تنقطع .. أشكال آدمية غريبة لا تتوقف عن الضجيج .. لفظ ..
عجلات القطار تحك الأرض بقسوة وعنق .. لغات عديدة لم أفهم منها شيئا ..

كانت الرحلة طويلة طويلة .. أحس بالتعب .. أتخيل أنني صرخت كثيرا
عندما أركبوني القطار .. لم أطلب منهم ذلك .. ولكنهم قرروا دون أن يسألني
أحد منهم عن رأيي . رموني هنا على إحدى الأرائك .. لم أكن أكثر من كيس
أراد صاحبه أن يتخلص منه .
<http://Archivebeta.Sakhi.net>

العرق كان يتصبب من جبهتي .. اسلحتني كانت بعيدة عني .. صرخت ..
ضحكت .. أكلت .. ولكنني لم أع شيئا .. دوار شديد هو الشيء الوحيد الذي
أذكر الآن . أضاعت الرحلة ملامحي .. اجتثت لساني .. سلبت كل ما أملك
من أسلحة .

أحس أنني وحيد ، بل أحس حتى بالوحدة في هذا القطار الواسع الرهيب ..
ضحك لي بعضهم ، وضحك مني آخرون . وثمة من لم يلتفت إلي . بل لم يخسر
من أجل بسمة واحدة .

الساعة السابعة :

ما زالت الملامح غامضة من حولي .. الصدمة يبدو أنها كانت شديدة .. بكائي
لم يعد يفلح في إثارة الشفقة لدى الآخرين ... ضجيج القطار ، ولفظ الناس

والحركة المستمرة لم تعد تلفت انتباهي .. بدأت يداي تتحركان .. نظرت الى اصابعي فأحسست بحركتها للمرة الاولى .. ابتسمت لأول مرة من قلبي لاننى بدأت أدرك أننى موجود .. أفرحتنى هذا الاكتشاف ، ولكننى عجزت عن التعبير عن فرحتى .. اقترب منى رجل لا أتذكر شكله : أبيض ، أسمر ، طويل ، قصير .. ولكننى ابتسمت له عندما ابتسم لى .. نظرت الى القطار الذى يجر جر عجلاته فهززت رأسى .. ولكننى لم أحاول أن أسأل عن وجهة الطريق ..

الساعة الثامنة :

لا أكاد أتذكر شيئا .. حاولت أن استرجع ما حدث فى هذه الساعة ، ولكن الذاكرة ابتلعت كل ما أعرفه عنها .. أذكر أننى كنت - وقتها - لا أميز الزمن .. لا أدرك أن ثمة ساعة معلقة على الجدار . تتحرك عقاربها برتابة واستمرار ... ولكن ما نفع معرفتى هذه ؟ أسأل نفسى الآن : لو كنت أعرف ماذا كنت سأفعل ؟ بعض أصحابي يتأسفون لتلك الساعة . ولكننى لا أريد أن تتكرر من جديد .. كانت مملة وتافهة .. انظر الآن اليها بغياء وبلادة ؛ فهى ليست بالنسبة الى أكثر من أى قطعة من اثاث هذا القطار ..

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الساعة التاسعة :

بدأت أفيق من غيبوبتى شيئا فشيئا .. ولكن الملامح لا تزال مهوشة ، واللامح لم تتضح جيدا ... كنت أرى الاشياء من حولى مكعبة ومربعة ومستطيلة ودائرية .. لم أكن أميز هذه الاشياء ، وانما كانت تبدو مختلطة حيناً ، منفصلة حيناً ، بيضاء حيناً ، ورمادية حيناً آخر ..

بدأت أنظر حولى لأميز الاشياء المختلطة هذه .. رأيت عيونا كثيرة حولى ، لا تلتفت الى ولا الى غيرها ؛ بل كلها كانت تسعى فى ممرات طويلة تبدو لا نهاية لها .. تسعى باستمرار .. تتوقف لحظة لتدور حول نفسها ، ولكنها سرعان ما تعود الى سيرها من جديد ..

صوت القطار لا يتوقف هديره .. والاقدام تتشبث بعناد رغم كل المنعطفات.. أتذكر جيدا أننى بدأت أعود النظرة العنيدة ، عندما مددت يدي لأتلمس المقعد الحشبي ، فوجدته باردا وقاسيا ..

أحسست بشيء من الجوع ، صبرت ، وعندما بدأ يعوى فى داخلى ، بكيت ، كنت أبكى وأنا أبحث حولى عن سينجندى .. ولكن أحدا لم يلتفت الى .. عجبت فقررت أن أرفع صوتى أكثر .. بكيت بمرارة .. ملأت القطار بكاء .. كان الجميع ينظرون الى ببلاهة ... يتسمون بغباء - أو هكذا خيل الى على الأقل - لم أفهم ما حدث أول الامر .. ولكننى فهمت بعد ذلك أنهم أطعمونى عندما كنت ممددا على الكرسي .. كنت - فى نظرهم - متعبا وضعيفا وأعزل .. لم يكونوا يطعمونى حبا بل رثاء ..

ما زالت الاقدام تسير فى طريقها بتؤدة ونظام .. الاطافر طويلة .. والطرق وعرة ، والقطار لا يتوقف لحظة واحدة .. كانت نهاية الطريق تبدو لى غامضة ، ولكنها غير مهمة .. كنت أفكر أحيانا أن : لا نهاية لها ..

الساعة العاشرة :

أفتت من الغيبوبة .. أحسست بصحور غريب بغزو رأسى . سلاحى كان الى جانبى .. تحسسته جيدا .. أصوات غريبة كنت أسمعها .. لم أميزها جيدا .. كانت تعالب حينا .. وذئبا حينا .. اقتربت من عيني الى جانبى .. تأملتتهما .. كان يسكن فيهما رهبة .. نظرت الى آخرين فوجدت هما وأسى .. ثمة عيون كثيرة ولكن واحدة ، منها لم تبادلنى بسمة حقيقية .

وقفت على قدمى .. بدت الطريق شبه معبدة .. نظرت الى عيني فوجدتهما حافيتين .. انتعلت .. رحت أتدرب .. غرست فى صدرى وعيني أكياسا من الجذ ورحت أذرع الطريق .. كنت وحدى أبذل كل هذا الجهد ، ماسحا عرقى ، فتعشرت أول الامر .. هيات أسلحتى .. رحت أسير دائرا ، مستقيما - صاعدا ، هابطا ! ولكننى لم أتوقف لحظة واحدة .. كنت فى شغل عن هدير القطار .. ولكننى كنت أسمع هديره فى لحظات توقفى .. أرجع الى الحلف بذاكرتى ، أبحث عن الحصيلة فأحس بالغثيان . انظر الى الجدران فأرى أنها من الصفيح السميك .. كل شيء محكم .. والطريق طويلة .. والمركة تحتاج الى سلاح محنك .. والى فارس لا تقل قوته .

الساعة الحادية عشرة :

انظر الى الخلف .. أحس أنني قطعت جزءا لا بأس به من الطريق .. أنظر الى الأمام فأحس باللانهاية المفجعة .. سحب القطار يشتد ويشد .. عبوس العيون من حولى تثير الاشمئزاز والضحك .. بل بالبكاء .. الرياح تدخل من نوافذ لا تبين .. الاقدام تتوقف عن المسير .. الاجساد تتحرك بطريقة لولبية .. أقاوم .. أحاول أن أحافظ على توازنى .. ولكن كسل شئ، يسير الى الامام وباستمرار .. بدت الطريق اكثر وعرة .. قطع من الصوان تسد منافذ الطريق أحيانا ، أحاول أن أقفز عليها ، فأفلح حيناً ، وأتعث حيناً .. أمواج من المياه تغرق مواطني القدمين .. ولكننى لا أقع دائما .. وإذا وقعت أنشبت بالجدران الحديدية للمساء ..

ما زال الشعور بالغثيان هو احساسى الوحيد ، ولكننى أسير فى الدرب ، أضع كل أسلحتى فوق ظهري .. ولكننى بدأت أبحث عن النهاية .. من دون أن أصل الى شئ .. أقطف ورودا جبيلية ، أجمعها باقات .. أرتبها ، ثم أزين بها صدرى ورأسى كما يفعل الآخرون .. ولكننى لا أحس أنني فعلت شيئا .. ومع هذا كله كثيرا ما تأتى الريح المجنونة لترمى هذه الورود .. لتنشرها هنا وهناك .. فأغرق فى ضحك ممزوج بالبكاء .. ولكننى لا أتوقف بل أستمر فى سيرى وفى جمع باقات الزهور ..

الساعة الثانية عشرة :

أحس أنني قطعت جزءا كبيرا من الطريق .. ولكن احساسى به بدا يتعمق .. كل شئ، كان يخلف فى شعورا بالمرارة والتفاهة والارهاق .. ولكن ما ذنبى أنا .. والقطار ما زال يسير .. ويسير .

زهير العلاف

ليلة 19 / 9 / 1978

انطباعات عن قصص قصيرة

(3)

« النقد هو الانوار الكشافاة التي تضيء الطريق للافكار الصحيحة ، وتساعد على انتشارها ووصولها الى الناس » .

– **ثروة حول مسألة تالفة لرضوان الكوني (26)**

هي اقصوصة في ثماني صفحات وهي من أجمل القصص القصيرة التي كتبت بتونس اطلاقا .

إن القصة لا تظهر قيمتها في أسلوبها أو في شكلها فقط ، أو في محتواها وأسلوبها معا ، بل إن قيمة القصة في نظري ، تكمن قبل كل شيء فيما تلهمه

(26) هذه انطباعات شاركت بها في برنامج تلفزيوني عن القصة التونسية بمشاركة صاحبي البرنامج محمد العروسي المطوي ومحمد المختار جنات وبحضور ابراهيم بن مراد وصاحب القصة ، البرنامج من اخراج المرحوم بولباية المرابط الذي صور القصة في شريط تلفزيوني ، وقد حذفت من التمثيل أهم فقرات نقدنا . هو الآن مدير احد المعاهد الثانوية بالجمهورية التونسية له مجموعة قصصية الكراسي المقلوبة (الشركة التونسية للتوزيع) ، نشر اقصوصتين بقبصص (الى حد العدد 13) انظر مقال عمر بن سالم المذكور ص 111 - 117 - 118 نشر انتاجه أيضا بالفكر وثقافة ، انظر مجلة قصص عدد 18 ، 1971 ، صفحة 14 .

الى القارىء فيما تبعته فيه من احساسيس وتساؤلات أى فى رد فعل القارىء بعد ما يتم قراءته . لذلك فان النقد البحث والنقد العلمى والنظرى لا بد منه . ولكنه غير كاف اذ ينقصه المعيار الحقيقى ألا وهو الذوق ، أى ذوق القارىء سواء كان معاصرا أو غير معاصر لصاحب الأثر الفنى ، لأن الانتاج بدون متاق له سيكون انتاجا جامدا ميتا يبقى منقوصا من ركن أساسى من أركانه.

فما اقرؤه ، يرجعنى لنفسى ولما يتخمر ويتصارع من افكار وقيم فى أعماقى كمثقف بنتمى لعالم ثالث متخلف رغم حضاراته القديمة وازدهارها الكبير فى ماضى الأزمان !!

وحكمى على قصة رضوان الكونى سيكون من هذا المنطلق أى من هذا الاخذ والعطاء . من هذا التكامل بينى وبينها . من هذا الالتقاء بين القاص والقارىء ، بينى وبين الزميل الذى أفهمه .

قد يقال لى : إنك تحمل القصة أكثر مما تحتمل . ولأجيب فانى سأذكر هنا ما جرى لكاتب فرنسى هو « بول فاليرى » الذى حضر تفسيرا لقصيد شعري له فى أحد المعاهد . وقد أنصت باعما ثم طلبوه رأيه فقال : لم أقصد ما ذهبتم اليه فى شرحكم أبدا ، ولكنى أجد ما قلتموه فى تفسيركم جميلا جدا وعميقا . وهكذا فانى سأقدم هنا ملاحظاتى الشخصية البحتة ! وأذكر مثلا ثانيا يخص كاتب القصص البوليسية المعروف « سان أنطونيو » الذى حضر ندوة جامعية عن مؤلفاته تحت اشراف الاستاذ « روبر اسكار بيت » صاحب التعاليق الشهيرة بجريدة « لوموند » وأستاذ بجامعة « بوردو » وكيف شعر « سان أنطونيو » ببساطته أمام تحاليل الجامعيين وعمقها وهو الذى لم يقصد ذلك أبدا ، انما كان يكتب بصفة عفوية !!

أقول هذا حتى لا يغتر القارىء ببساطة قصة رضوان الكونى الظاهرية ، لان مع البساطة الظاهرة هناك رمز غارق فى البعد . فليبحث القارىء اذن ويساهم بفهمه الشخصى للقصة . وهذا ، حسب رأى شرط أساسى وأولى لفن القصة المعاصرة . وهذا يكون بتشريك الكاتب قراءه فيما يكتبون وذلك بتركه لهم امكانيات واسعة للفهم والتفسير الذاتى والشخصى وان لا يقدم لهم « الطعام » إلا نصف مطهو !!

ونأتى الآن لرموز قصتنا .

ونبدأ بالظاهر : فاذا نحن ازاء مشكلة شخص جاهل يندب حظه ، وينتقل للمدينة يبحث عن الغد الافضل ، فنحن امام مشكل **التزوح** بجميع جوانبه ، فالبطل ساذج قد وكل امره للحمار الذكي الذي يعرف الطريق .. ليوصله لمبتغاه : وقد اوصاه الوالد والام بذلك ، فنحن ازاء جيلين **الجيل الماضي والجيل الحاضر وقد تواكلا وسلما امرهما للسدعة وعدم النقد** ، بدون « قيادة » مسؤولة : « والراكب المسافر مستديرا الى خلف الحمار معفى من القيادة وفي ذلك اية راحة » (ص 5) .

ونحن ازاء مدينتين يخترقهما البطل أو بالاحرى يخترقهما الحمار الجاهل على ظهره بطلنا السلبى - المدينة الاولى هي المدينة العصرية وبها يرى الراكب الشرطة : « فى رأس كل عطفة من عطفات الشوارع ، ويضيف الكونى : « استرعى وجود الحمار فى هذه الاحياء انتباه أعوان الشرطة الحازمين اليقظين خاصة أمام هذه المناظر الناشزة . فجاءوا الحمار يضربونه هو وراكبه ، فالشرطة حازمة لاخراج هذا التشاز ، فمكانة ليس هناك أين : « البدلات الانيقة والاحذية البراقة والوجوه المزينة بالف طلاء » .

والمدينة الثانية هي المدينة الشعبية الفقيرة ، بها الاسواق والباعة أين « الازياء على حالها ، كل الناس مرتدون ولا بهمننا نوع ما يضعون على جلودهم ، الستر هو الكل » . وهنا لا ينتبه أحد « للبطل » ، الا بطل ، أو بالاحرى لهذا الحمار البطل فنحن ازاء **اللامبالاة** وازاء فقدان رد الفعل ، لا يرسم على الوجوه أى انفعال ! فهو قد دخل عالما به أناس يشبهونه ، فهو منهم واليهم (هؤلاء ، والحمار نفس الشيء ، تختلط أغلب الاحيان الضمائر فيلجأ القاص الى جمل للتوضيح مثل : « تدخل القلب - قلبى أنا - ثم قربت منها - قرب الحمار منها » الخ .

والقاص يشير بوضوح الى هذه اللامبالاة بجانب الفقر والحيث ، هذه اللامبالاة التى تظهر عند الشعب أمام مسائل جوهرية مصيرية كالجوع والفقر والمرض . ومرجع هذه اللامبالاة لعدم وجود الوعي الكافى ولعدم الثقة فى هياكل المجتمع وتضامنها وعدم الثقة بوسائل الاعلام وبالقيادات فى عالمنا الثالث المتخلف ولكن الوعي يدب ديبيا فالراكب يدفع الدعة والاستسلام بالتساؤل : « لماذا امتطيت الحمار فى اتجاه معاكس ؟ ولماذا رضيت بذلك ؟ لم أرفض يوما شيئا مع أنى كنت مرفوضا » (ص 7) .

وهكذا نرى عمق اقصوصة الكونى فبطله جاهل أو هو لا مثقف . وقد يكون متعلما لا غير ، ولكنه يمتاز بعدم وعيه رغم أن هذا الوعى يبدأ فى البروز آخر القصة وعند حدوث المأساة ! وهو يسلم أمر قيادته لحمار لا يفكر الا فى اكل التبن ولو ادى ذلك بالتفشاء على حياة الراكب ، فالمصلحة الخاصة والمنفعة الذاتية هى الدافع والمحرك الاساسى لحمارنا = القائد . والمسألة سياسية آخر الامر وهى تضع بأسلوب ذكى مشكل القيادة فى بلدان العالم السائرة فى طريق النمو ، فنحن نرى اقلية تسطر مصير الاغلبية الساحقة الغير واعية ، وهذه البلدان تعيش مرحلة انتقالية ، والمسألة مسألة أجيال ولا شك . فالبطل ذهب ضحية عدم شعور المسؤول بمسؤوليته ، وقد ينهب غيره كذلك ضحية ... قد يكون اخوه هو الضحية فامه ستهى له الماء من جديد وستتهى له النزوح . ومشكلة فلسطين يمكن أن تكون مثالا لما أقول ، فهى مسألة قيادات لا تبحث أغلب الاحيان الا على الحفاظ على الحكم (التبن هنا بالنسبة للحمار) . لقد ضاعت الآمال والكل يلوح بسراب الانطلاق نحو ما سيفعله وما سيغير به المعطيات .

والكونى يبسط كذلك مشكل الاصلية ، فالبطل كان ابن الحقل ، يعرف قيمته ويتذكره ويتذكر أمه ساعة الحظر الدائم وأمام الجهول (ص 7) فتغور بسمته ويتذكر التراب ، وهذا هو التراب سأعترفه وأملأ به يدي وأعجنه كما فعلت صغيرا . فهو يحب الارض ويتعلق بها . ولكن كل هذا يكون عند فوات الاوان أى قبيل الموت ، لقد ترك الفلاحة والارض وأقبل على زخرف المدينة ، لقد ترك أصلاته وتقرب على حساب البراءة ، فيكون الهلاك وذوبان الشخصية وانعدامها .

وهكذا فصل الى التمزق اولا ثم الى الموت ثانيا .

والكونى مع هذا يتحفنا بفقرات جميلة جدا كتلك التى يتحدث فيها عن الأم أو تلك التى يصور فيها البطل وهو يعد النجوم (ص 4) .

وقد سئل الكونى - آخر الحصة التلفزيونية - عن مقاصده من اقصوصته فقال : ان ما ذهبتم اليه وما ذهب اليه عزونة بالخصوص هو ما قصدته فعلا .

- خاتمة :

هذه هي الانطباعات التي أردت أن أسجلها هنا ، مساهما بذلك في وضع لبنة أخرى في بناء القصة بتونس ، مظهرا تلك الرعاية التي فينا لهذا الفن من الادب ، ومبرزا مكانته في نفوس المشتغلين به .

وليت نادي القصة يبوب كراس جلساته حسب القصاصين أو حسب نوع القصص وينشر محاضر الجلسات أي نقد المختصين بالقصة للقصص وينشر ذلك في كتب ، لأن هذا العمل سيثري المكتبة العربية لا شك في ذلك (27) .

ولعل هذه المبادرات أو أمثالها هي التي تساهم في دحض المقولات التي تدعى أن القصة تعيش الآن أزمة ، أو أنها منسية من بين جميع أصناف الادب ، وكفانا بكاء وتحسرا ولنعمل فقط (28) .

فالقصة اليوم لها شأن عظيم كما هو مشاهد . وقلما تسأل أحدا ولا يجيبك : هي روح الادب وعماده وسبب تحببها للنفس . ومن هنا كان تأثيرها الكبير في المجتمع . كيف يمكن أن نقول أن القصة في أزمة وكأننا نرى كثيرا من الروايات والقصص الجديدة أو المترجمة أو القصص القديمة التي يعاد ابرازها بشكل جديد : اقتباس أو تعريف بالتراث أو نفث الغبار عن بعض الآثار المنسية أو تأويل جديد لقصة معينة . هذا ما ينشر وأما ما يقبع في المخطوطات فحدث ولا حرج فالأزمة أزمة نشر وليست أزمة إنتاج القصة . وإن قلنا : أزمة نشر يعني أزمة استهلاك القصة وإيصالها للقارئ .

القصة هي وصف قبل كل شيء للحياة بجميع ما فيها من متناقضات واختلافات في الميول والآراء والمشاعر . فنجد في القصص الواقعي بالخصوص وصف الحياة الاجتماعية بما فيها من عمل وكسل وفساد وصلاح وادب وحرب وحرية ... الخ ... وهي تتعرض كذلك للحاسيس ، فتصفها وهي بسيرها أعماق الأشياء تعطى دروسا غير مباشرة للقراء وللناس إذ تفهمهم واقعهم وأنفسهم وتقربهم أكثر منها ؛ فتتحسن الحياة وتعمق .

(27) هذا يضاف لاقتراح أحمد الطويل : « ليت نادي القصة يسهر على جمع قصص الرواد من أمثال عبد الرزاق كركس ، مصطفى خريف وزين العابدين السنوسي وغيرهم » مجلة الفكر ، أكتوبر 1977 ، ص 80 .

(28) انظر افتتاحية مجلة قصص : عدد 42 ، أكتوبر 1978 ، ص 3 و 4 .

وقد توالى القصص منذ الزمان الغابر الى اليوم وقد صادفت القصة الانسان فى جميع تقلباته : فى افراده واطراحه ، فى جميع اصقاع الدنيا وفى جميع مراحل الحياة . وهى تمثل فى طابعها الشعبى او فى طابعها المثقف المهنى عند المختصين من كتاب القصة ذلك الجانب النورانى المضى ، الانسانى بما فى هذه الكلمة من معانى وابعاد . فهى لحظات التجلى وانقشاع الضباب ووعى بمصير الانسان ، مصائبه وعظمته فى الآن نفسه .

فهل بعد هذا يمكن أن نقول : إن القصة لم يكتب لها النجاح المأمول لأنها لم تستطع التأثير فى الاجيال المتعاقبة ؟ إن كنا نقصد بالقصة الحكمة والتعقل وتجارب الإنسانية فى العصور الماضية فيمكن أن يكون هذا الحكم صحيحا . ولكن القصة ليست الوعظ والارشاد والفلسفة والدين والاخلاق والفضيلة ، هى ليست كل ذلك .

إن القصص تملأ الحزائن والمكتبات ، يهرع اليها المتفرغ المدارس ويهرع اليها الانسان العادى عند القلق والشعور بالضيق ، ويهرع اليها الناس اكثر فاكثر فى وقتنا الحاضر كضرورة من ضرورات الحياة ، تصقل النفس وتشحذ الحيال وقد برهن علماء النفس أن الخيال ضرورى لاستقامة حياة الفرد واعتدال مزاجه وأنه بدون لا تكون حياة الانسان حياة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

نعم كل جيل له تجاربه وله مفاهيمه . والاجيال تتعاقب متصارعة فى مفاهيمه ونظرتها للحياة . ومن هذا الصراع ينشأ التقدم ومن هذا التناقض فى المصالح يتبلور المستقبل وتسجل الانسانية الانتصارات . فكل جيل يطالب بحقه فى التجربة وحقه فى الغلط ... لقد تقدمت البشرية ما فى ذلك شك . ولكن هل تقدمها الحضارى ، الاخلاقى (بالمعنى الفلسفى للكلمة) والروحى يوازى تقدمها التقنى الآلى ؟ لماذا لا تكون الاجيال الجديدة أكثر انسانية وأكثر مثالية من الاجيال السابقة ؟ هل هذه طبيعة البشر ؟ وهل هذه الحالة خير أم شر ؟ وما هو الحل لبلوغ تلك الغاية ؟ القصة لها دور فى تحليل ذلك ولا شك ، فى تخيل أنماط من التفكير جديدة للانسان الذى لم يولد بعد !!

لماذا هذا التكاليف على المادة ؟ لماذا هذا الاهتمام باللمحة المعاشة فقط ؟

هناك أسباب عميقة لا محالة : الاحتياج والتخلف واللفه والتميع الطبقي والسياسى وراء ذلك ... وهذه جوانب لا بد للقصة المعاصرة - إن كانت

تطمح أن تساهم في تغيير الواقع من حسن الى احسن - أن تطرقها وتضعها في أول اهتماماتها .

هنا يكون دور التربية لا محالة ، والتربية الحسنة ليست تلك التي ترجع للماضى وتقدهس وتحنطه وتعبدّه ولكنها تلك التي تدعو الى رفض العنف المجانى والانبتات الحضارى والتغرب وتدفع للمستقبل دفعا والقصة لا بد لها أن تلعب دورها الطلائعى هنا أيضا مع التربية الحديثة ...

قلنا منذ حين إن القصة تتأثر بالمجتمع وتؤثر فيه ، ومن هنا يمكن أن تفسر نوعا ما اختلاف أنواع القصص ومواضيعها ، ومجتمعنا العربى الإسلامى تأثر - ولا يزال - بالحضارة الغربية الى حد كبير جدا . ومن هنا جاءت التقييمات المختلفة والمتناقضة للتصرف اليومى لدى الفرد العربى ؛ فالقيم متقلبة والمفهوم الاخلاقى التقليدى تعترضه تحديات جبارة كل يوم وكل حين فتحدث بعضهم عن فساد الاخلاق عند النشء وفى المجتمع بصفة عامة ... ويتهمون القصة بالاستسلام كل الاستسلام لهذا التيار ، فتصير القصة منبع فساد بما تشيعه عند الناس من حيث التقليد لبعضهم بعضا ؟! فوصفت ما يفعل الناس بكل دقة وصورته ذلك بدون منازعة أو حياء ، او خجل بل تعدت أحيانا الوصف وركزت على حالات قصوى قدمتها كنماذج للمجتمع . ونسجت من خيالها الخصب الكثير ... وهذه تهمة باطلة ضد القصة ... فليست القصة المسؤول عن هذه الحالة كما يظن الكثيرون ويا للأسف فهى تصف الحالة وتنشر الوعي بالواقع المعاش وواقع النفوس . وما هذا التغيير الطارىء على مجتمعنا الا من أثر تخلفنا الحضارى واحتياجنا للغرب المتقدم فى جميع جوانب الحياة ...

نعم هناك قصاصون عرب وضعوا قصصا قد تبدو كأنها مترجمة عن الغرب فهى تصف مجتمعنا متغربا فى تصرفه وتفكيره ، فهو مجتمع مستهتر بعيد الصلة عن واقعنا .

قصت هذه القصص ما لا يصدق عقل بصير ، ولكنها قصص تصف حياة فئة قليلة ثرية من مجتمعنا ، مرتبطة ماليا واقتصاديا وثقافيا وسياسيا بالغرب . وهى إذن لا تمثل مجتمعنا ولا مشاكله ولا طموحه ، وأدبها أدب هجين إذن لا يست بآى صلة لأدبنا ولو كتب بالعربية !!

نعم نحن لا ننكر تأثير القصص على الجميع ... وخصوصا تلك القصص التي تقدم عالما حالما سحريا يتناقض مع العالم الواقعي بخيالاته وفقره وانسداد آفاقه . اقول هذا وأنا أقصد الافلام البوليسية وغنمها والافلام العاطفية بالنسبة للمراهق بالخصوص ... ومع الافلام القصص ذات نفس الاتجاه ... هذه كلها تدفع الطفل والشباب والكهل الى حب السيطرة واستملاك الغير وقهره واذلاله واستعباده وكذلك تدفعهم الى محاولة التقليد (مغامرات عاطفية مثل أو اقوى مما شوهذ) فتكثر الجرائم ويكون الانفصال بين الواقع وبين الاحلام .. لذلك وجبت دراسة هذا الجانب بعمق وتقييم نتائجه واستنباط الحلول له ... وقد تكون كل تلك القصص ترمي الى مغزى ولكن الطفل والشباب والكهل لن يجهدوا أنفسهم بالتفكير فيه كما أجهد الكاتب نفسه في البحث عنه وتدوينه بالعبارات اللازمة ، فأغلب القراء حينما يهرعون الى القصة لا يبحثون الا عن اللذة الكامنة فيها ليخدروا أعصابهم وحواسهم بها . ولو خلت قصة من تلك اللذة لوقع طرحها من السوق جانبا . فالقاري العادي لا يهتم الا بالظواهر وبتلك المتعة الطارئة . وقد ينسى مواعظ الدهر والزمن . فهل يجب على القاص السير في هذا الباب ؟ هل يجب عليه أن ينسجم وحاجيات السوق ، وأن يستجيب لهذه الطلبات ؟ أم عليه أن يتمسك بمنزلته ، وأن يكتب للخاصة والقلة في هذا المجتمع الكثير الحاجيات ، القليل الوقت ، المسرع دائما ، المتقلب المتجدد ؟

نعم قد ينزلق القاص ويساهم في افساد المجتمع ذوقيا وأخلاقيا ، وخصوصا النشء ، يقول حنا الفاخوري : « إن قصص اليوم رخيصة ، تملق النزعات الدنيا عند الشعب وتمثل كثيرا من وجوه الحياة الانسانية المخزية ، فالاجرام بأنواعه وطرقه ، والعشق السافل وما الى ذلك من نواحي الضعف الانساني ، مما يفسد الاخلاق ويلطم وجه الفضيلة والشرف ... » (29) .

ويضيف : « فكان الاجدر بمثل هؤلاء الكتاب أن يكونوا لأمتهم وبلادهم عوامل بناء لا عوامل دمار » .

قد لا نوافق الفاخوري في تعميمه ؛ لان دور القاص ليس دور الراحب ورجل الكنيسة أو رجل الدين . وقد بينا هذا من قبل . ولكن قد لا نتساهل

(29) حنا الفاخوري ، تاريخ الادب العربي ، طبعة 191 ، ص 939 .

مع أدباء يتساهلون مع أنفسهم ومع انتاجهم ومع القراء ... فيصورون أمراض المجتمعات الغربية وكأنها النعيم والسعادة فيغلطون مع أنفسهم ويغالطون قراءهم ... هؤلاء هم الذين يجب الوقوف لهم بالمرصاد .

فالقاص ليس هو من يعزف ليرقص غرائز القارئ ، ذلك هو دور الادب الاباحى *Littérature Pornographique* . ولكن دور الاديب هو الذي يجعل القارئ يفهم نفسه وغيره بطريقة أحسن . وعلم الشيء أحسن من جهله . ولو صور الاديب النواحي الغير أخلاقية فى المجتمع فلا يجب أن يلام لأنه هو يقوم لنا بمثابة علامات الطريق تنبهنا للمخاطر ويعلمنا كيف نستطيع تلافى المزالق .

على كل يجب أن تساهم القصة لا فى تحطيم المجتمع بل فى تربيته وتعميق وعيه بالاشياء وبالحياة وبالكون . والا صارت إحدى مغريات المجتمع المبتذلة ، تساهم عندئذ مع المؤثرات الأخرى فى الاسراع بالمجتمع نحو الانحلال والذوبان ...

ARCHIVE

وهنا نتوجه بدعوة للمسئولين لا لتفشيطة الرقابة على الكتب والافلام والمنشورات كما يدعو البعض ، فهذا حل سهل ولكنه لا يجتث العلة ويستطيع الناس مداراة المنع والرقابة بوسائل عدة ، ثم لاننا نؤمن بالحرية : حرية الرأى والتفكير وحرية الفرد فى الاختيار ، ولأن الرقابة سلاح ذو حدين ، قد يمنح الفاسد ولكن الرقابة قد تصبح تكبيلا لكل فكر حر تقدمى فتكون الطامة عندهما اكبر . لذلك سيكون ندائى لتشجيع الماد من الفنون ولتشجيع القصة بجميع اصنافها الجادة ، تشجيع الكتاب ماديا وأديبا بنشر انتاجهم وترويجهم وفتح الوسائل السمعية البصرية للتعريف بهم وبه والقيام بمعارض ومسابقات ... الخ ... وكفى واجهات مكتبتنا ورفوف مكاتبنا من أقاصيص الاستهتار الرخيص ! وكفى تلفرتنا من مسلسلات وأهية لا تزيد الذهن الا بالادة ، وثقلا . وإننى أفكر فى كثير من قصص يوسف السباعي واحسان عبد القدوس وأمين يوسف غراب ورفيق العلالي وغيرهم ، وكان همهم الوحيد هو لذة الكلام والصور العارية فابتعدوا فى تقليد الغرب الى ابعد الاشواط فهل رسالة الاديب والقصاص : الشهرة والتجارة وربح المال ؟ أم هى شىء آخر ؟

معلومات تكميلية عن بعض القصاصيين الوارد ذكرهم في المقال

— I

إبراهيم بن مراد مما نشر نذكر :

- 1 - لوحات في المسرح المخبوب : قصص عدد 14 - جانفي 1970 - ص 42 .
- 2 - رجل كان يدعى ميسرة السقا : قصص عدد 18 - جانفي 1971 - ص 77 .
- 3 - ساعة يقف الشيطان على قرنه : قصص عدد 30 - جانفي 1974 - ص 17 .
- 4 - في منعطف الطريق : قصص عدد 16 - ص 54 الى 59 .
- 5 - ابياسوس المادوري (ترجمة روايته : المسخ مع عبد القادر بن هادية) : قصص عدد 41 و 42 - ص 16 و 19 .
- انظر كذلك قصص عدد 18 - 1971 - ص 15 - 17 - 19 - 112 - 118 - 119 و 131 .

— II

رضوان الكونى نشر انتاجه بالفكر وثقافة وقصص :

- 1 - حافلة تمر : قصص عدد 9 - ص 118 الى 123 .
- 2 - ضيف المغرب : قصص - عدد 10 - ص 103 - الى ص 109 .
- 3 - ما يقال وما لا يقال : قصص عدد 13 - ص 21 الى 23 .
- 4 - من أخبار القصة : قصص عدد 18 - جانفي 1971 - ص 138 .
- 5 - رواية جديدة ، إنسان جديد : لآلان روب فريسي - تعريب رضوان الكونى - قصص عدد 22 - جانفي 1972 - ص 78 الى ص 84 .

— III

عزالدين المدنى

- 1 - استعداد للرحيل : قصص عدد 13 - ص 24 - 36 .
- 2 - رسالة التبريع والتدوير : الفكر - أكتوبر 1977 - ص 46 .
- 3 - ديوان الزنج : (الفكر) .
- 4 - الغفران : (طبعت في كتاب على حدة) .

- 5 - مولاى السلطان الخفصى .
 - 6 - العلاج : (منعت كتمثيلية)
 - 7 - ثورة صاحب الحمام .
 - 8 - قصة الحمل مع السبع بنات : (نشرت بمجلة ALIF) .
 - 9 - مجموعة قصصية : خرافات - (أوت 1968) .
 - 10 - كتاب : الادب التجريبي .
 - 11 - سقيا يا مطر : فصول 1 الى 3 - قصص - من عدد 1 الى 3
 - 12 - الا تذكرين : قصص - عدد 5 و 6 .
 - 13 - انظر دراسة عمر بن سالم : اربع سنوات من حياة مجلة قصص -
مجلة قصص عدد 18 - جانفى 1971 - ص 93 الى ص 137 - وبالحصوص
صفحات 96 - 18 - 112 - 120 - 121 - 124 .
- وتجربة المدنى لغوية شيئية هادفة ، لقد علق على عنوان الانسان الصفر
بقوله : « هذا تعبير وجلى يبحث عن نفسه من خلال عالم اللغة
والاشياء » . يعتمد المدنى على التوارد الآلى للخواطر .. اللاوعى ويسخره
لتلقى الانطباعات الشيئية ...
<http://Archivebeta.Sakrit.com>
- « النزعة التجريبية التجديدية ، مشاربها سرىالية شيئية وواقعية ،
اجتماعية فى الآن نفسه وانحلاية تعفننية وفوضوية عابثة ... الخ .. »

— IV

احمد ممو

- لاحمد ممو مساهمات عديدة :
- 1 - انظر الحوار الذى اجراه معه سمير العيادى تحت عنوان : ملامح احمد
ممو بين العلم والادب : مجلة قصص عدد 22 - جانفى 1972 - ص 98 الى
105 .
 - 2 - آراء حول قصة « رحلة سعودية الى سفح الجبل » : لعروسية النالوتى
(محضر جلسة) (نفس العدد السابق) .

- 3 - الادب النسائي من خلال مجلة قصص : قصص عدد 24 - جويلية 1972 -
ص 14 - الى ص 46 .
- 4 - هياكل القصة البطولية من خلال الادب الشعبي : قصص عدد 40 - 41
و 42 - صفحات 31 / 62 / 50 . افريل - جويلية - اكتوبر .
- 5 - الثعبان : تأليف جون شتاينفك - ترجمة أحمد ممو - قصص عدد 33 -
جويلية 1976 - ص 23 .
- 6 - دراسات عن القصة : الانواع الادبية : تأليف : تزيغان تودوروف -
تعريب : أحمد ممو - قصص عدد 37 - جويلية 1977 - ص 52 .
- 7 - في بيت العنكبوت : تأليف : محمد الهادي بن صالح - عرض : أحمد
ممو - قصص عدد 35 - جانفي 1977 - ص 23 .
- 8 - فقرة صغيرة : قصص عدد 8 - جويلية 1968 - ص 125 .
- 9 - المرأة التي تعكس وجوه الآخرين : قصص عدد 9 - اكتوبر 1968 ص 94 .
- 10 - غادة المخبر : (تعريب) أو ضفدعة تسجع بالحب - لآلان فريثاف -
قصص عدد 14 - جانفي 1970 - ص 35 - 41 .
- 11 - آراء حول القصة : (اعداد أحمد ممو) قصص عدد 18 - جانفي 1971 -
ص 14 (محضر جلسة اجتماع القصاصين)
- 12 - الفقاعة والمثلث : الفصول 1 الى 4 - الاعداد 10 - 11 - 15 - و 17 من
مجلة قصص .
- 13 - تحولات « القصص العجيبة » : لفلاديمير بروب - تعريب : أحمد ممو -
قصص عدد 25 - اكتوبر 1972 - ص 81 .
- 14 - هياكل القصة النضالية (4 حلقات) : قصص اعداد 26 - 27 - 28 -
و 29 افريل - جويلية و اكتوبر 1973 صفحات : 53 / 88 و 93 .
- 15 - القصة من المنتج الى المستهلك : قصص عدد 32 - افريل 1976 - ص 52 .
- 16 - انظر مجلة قصص عدد 18 - 1971 - صفحات : 14 - وكذلك مقال
عمر بن سالم : اربع سنوات من حياة قصص - نفس العدد - صفحات :
93 - 99 - 107 - III الخ .

جلول عزونة

عَلَى الْعَرَبِيِّ

جَامِعُ الْأَعْقَابِ

« من الذى جعل من جامع الاعقاب رجلا »

نجيب محفوظ

(1)

كان المقهى يلفه الضباب والقلق . ومن حين لآخر كان الرواد يرفعون رؤوسهم ثم يعودون الى عالمهم الذى اختاروه : هذا اغرق رأسه فى كتاب لسارتر ، لقد اتعبه أدراك كنه فلسفته ، فظهر الاعياء على ملامح وجهه وسال العرق على جبينه الذى انسدت عليه خصلات شعره الطويلة فكان يستنجد بسيجارته ثم يرسل زوابع من الدخان فى فضاء المقهى .

وجلس فى الركن الآخر شاب يبدو الاعتداد بنفسه على قسماات وجهه وعلى غليونه الكبير . ويشدو انه مستخف بما يقرأ يفتح الكتاب ثم يتركه أمامه فيسرح بفكره فى عوالم لا تنتهى ...

ودخل طفل صغير قد يكون فى السابعة من عمره يرتدى اسمالا بالية فظهرت كتفه اليسرى عارية وبيده اليمنى اخذ اناء يضع فيه اعقاب السجائر ، فكان ينحنى على الاعقاب كالعصفور الذى يتلقف الحب من الارض . وبدا وجهه شاحبا تغمره صفرة ، وفى عينيه حدة من يصارع الاهوال . ولما تخطى عتبة المقهى طرده صاحبها بصوته الغليظ :

- اخرج يا لقيط ...

ورن الصوت فى فضاء المقهى ، فرجع الرواد رؤوسهم . ثم انسحبوا الى عالمهم
الا صاحب الغليون فقد ارتفع صوته :

- تعال يا ... تعال .

واخذ صاحب المقهى يتراجع ويبتسم بتصنع ، وتوجه الطفل بخطى حائرة
خائفة الى الشاب الذى طلب منه الجلوس واخذ الهنوء يعود شيئا فشيئا الى
نفس الطفل بعد أن تناول شيئا من المرطبات .

- ما اسمك ؟

- أنا .. كمال ؟

- أين يسكن أبوك وأمك ؟

- أمى .. هاتت .. و .. بابا .. طردنى .

- لماذا طردك يا كمال ...؟

- لان زوجته تكرهنى ... تضربنى ... تيفضنى .

ولاحظ صاحب الغليون سخاية من الاسى والحزن ارتسمت على وجه
الطفل .. هذا الطفل الذى يمكن ان يكون سعيدا / كفيلا . فلماذا هذا الظلم ؟

ورفع صاحب الحاصلات الطويلة رأسه وهو يتمتم :

- الوجود يسبق الجوهر .

ثم رجع الى الكتاب يغرف الحروف بنهم ولهفة فى جو من الضباب والقلق ..

وسرح صاحب الغليون بنظره خارج المقهى فرأى جموعا من التلاميذ الصغار
يتزاحمون أمام المدرسة وبسرعة تذكر صباه ودراسته التى أتمها بتفوق فى
ظروف ملائمة ثم احتوى الطفل الصغير بعينيه الوديعتين والقى نظرة خاطفة
على عنوان الكتاب ثم قال فى سره :

« .. مسكين هذا الطفل الى متى هو ينحنى ليلتقط الاعقاب من الشوارع
ويختلط بالمنحرفين والشواذ .. »

وعزم على انقاذه من الجحيم .

(2)

- مبروك يا كمال .. حقا لقد رفعت راسى عاليا .

وعانقه طويلا . ثم ركبا السيارة التى اخذت تشق جموع التلاميذ شقا .
وكان التلاميذ يحيون كمال بحرارة واعجاب .

ولما ابتعدا قليلا تذكر محمود المقهى والاعقاب فى ايام ذلك الشتاء البارد
واخذ يحاسب نفسه :

- ليس لى من مزية سوى اننى كنت واسطة خير . فقد حملت كمالا الى
احدى « قرى اطفال بورقيبة » . وهناك وجد الرعاية والعناية واجتهد فنجح .

ثم نظر عن يمينه فرأى السواعد المفتولة تبنى وتشيد وقرأ لافتة عن يمينه
« حى الزهور » ثم سأل كمال :



- ماذا تنوى ان تواصل العام القابل .

ودون ان يتعلم أجاب :

- الطب يا عمى ... لاداوى المرضى وأنقذهم . كما .. أنقذتنى انت من
الجحيم .

- لا .. عفوا .. يا كمال .

وانطلقت السيارة كالسهم فى طريق خال تحنل قلبين طبيين كان ينتظر
ان ينحرف احدهما .

على العريبي

الصَّبْرُ وَهُدَاةُ

اقتعد الشاب مقعده في عربة القطار . واقتعدت مقعدا قبالة امرأة تحتضن طفلا دون العامين .

انطلق القطار ، اهتزت العربة .. وظلت الضوضاء تشغلها حتى حين . ثم سكن الليل ، وخفتت الاصوات والاضواء معا. انتهت المرأة : كان شابا وسيما ، في العشرين .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وانتبه الشاب : كانت امرأة ممكجة ، في العشرين ايضا .

... غص نظره ، وغضت نظرها .

لم ينم الشاب ... ولم تنم المرأة ، ونام الطفل على صدر أمه بصمت ... شاغل الشاب نفسه بقراءة صحيفة ، وكانت المرأة تنظر اليه نظرات مستقيمة بين دقيقة ودقيقة . ولما رفع عينيه إليها ، ابتسم برقة ، ففرحت المرأة في سرها ، ولم ترتبك ، ومسدت بيدها على شعرها المكهرب .. ، ثم على شعر ابنها النابت ، الذي غط في نوم عميق وهادي .

قطع الشاب ابتسامته وأخرج من حقيبته الصغيرة بضعة أوراق بيض ، ونظر اتجاهها وأخذ يحرك قلمه على الورق بخفة ومهارة .

كانت فرحانة ، وهو فرحان أيضا .

وكان الطفل جميلا وهادئا في نومه .

★ ★ ★

مضى وقت من الليل والصمت .

ظلت عيناه تنتقلان بين جهتها وصفحة ورقته .

.. منهمك ... ناعسة ، بل تغالب النعاس . وهي موقنة انها تقدر على قراءة ما في عيني الشاب من حركة وسكون . وشعرت ان في حلقها كلاما كثيرا ودت لو قالته دفعة واحدة . لكنها آثرت الصمت ، وأبقت نفسها تختلس النظرات او تكشف عنها في بعض المرات . كذلك شعرت انها مضطرة الى ان تبقى ساكنة في وضع واحد .. او ما يشبه ذلك .

★ ★ ★

عند الفجر ، كان الصمت هو .. هو ، قبل ان يقول الشاب للمرأة :

- سيدتي ، تفضلتي .. ما رأيك ؟؟

نظرت بلهفة . لكنها سرعان ما شعرت بماء ساخن ينسكب بين نهديها وعلى قلبها ، وقالت بجفاء وتعجب كبير :

- ماذا رسمت !!؟ ..

- ابنك يا سيدتي !

تمنت لو بصقت على وجهه لكنها أضعف من أن تفعل . وانتفضت واقفة صامتة ممثلة غضبا وندما على ساعات الليل الخوالي . لكنها تلاشت وطفلها الغافى من ممر العربة الممتد ، بعد لحظات .

فاتح عبد السلام

- الموصل -

مَسْرَدُ الْقِصَصِ التُّونِسِيَّةِ

تُحاول مجلة « قصص » أن تكون المرجع الأكمل والأوفى لما صدر في تونس من أقاصيص ، ونشر في مختلف الصحف والمجلات أو ضمت المجموعات . وهي - إذ تنشر هذه القوائم - ترجو من قرائها الاعزاء مدها بكل ما لديهم من ملاحظات ، وما يمكن أن يتداركوا به سهوا أو نسيانا أو عدم اطلاع ويخضع هذا المسرد لوجود المصدر واكتماله أكثر من خضوعه للترتيب الزمني أو الأبجدي الذي سوف يكون مرحلة ثانية بحول الله ، وسوف يكون ضمن هذا المسرد القصص المترجمة إلى العربية كذلك باعتبار الترجمة - سيما الأدبية منها - هي من الخلق والابداع دون اغفال الكاتب الأصلي ومن ترجم له .

ARCHIVE
مجلة المساحات (*)
<http://Archivebooks.sakina.com>

العنوان	المؤلف	المرجع
اضغات أحلام	الصادق مازينغ	س 3 ، ع 31 - 32 ، أكتوبر - نوفمبر 1946 ، ص 7 ؛ ع 33 ، ديسمبر 1946 ، ص 4 ؛ ع 34 ، جانفي 1947 ، ص 9 ؛ ع 36 ، مارس 1947 ، ص 6 ؛ س 4 ، ع 38 ، ماي 1947 ، ص 6 ؛ ع 40 ، جويلية 1947 ، ص 5 ؛ ع 42 - 43 ،

العنوان	المؤلف	المراجع
الاعتراف	غنى دى موبسان	سبتمبر - أكتوبر 1947، ص 9 .
الأكذوبة اللطيفة	ترجمة محمد البشروش هولمار طورس	عدد 2 من السلسلة الاولى، مارس 1938 ، ص 18 . س 3 ، ع 25 ، افريل 1946 ، ص 10 .
الم معلمين	ترجمة محسن بن حميدة كلود يودى سوزا	س 3 ، ع 27 - 28 ، جوان - جويلية 1946 ، ص 16 .
امن تذكر جيران بذى سلم	على الدوعاجى	س 1 ، ع 11 ، فيفري 1945 ، ص 11 .
بين النفس والايمان	عبد العزيز السعداوى	س 1 ، ع 9 ، ديسمبر 1944 ، ص 9 .
جولة بين حانات البحر الابيض المتوسط	على الدوعاجى	س 1 ، ع 4 ، جويلية 1944 ، ص 4 ؛ ع 5 ، أوت 1944 ، ص 4 ؛ ع 7 ، أكتوبر 1944 ، ص 11 ؛ ع 8 ، نوفمبر 1944 ، ص 13 ؛ ع 9 ، ديسمبر 1944 ، ص 11 ؛ ع 10 ، جانفى 1945 ، ص 7 .
الحاج على	الملاحظ: مصطفى خريف	س 1 ، ع 4 ، جويلية 1944 ، ص 7 .
حديث البعث الاول	محمود السعدى	س 1 ، ع 6 ، سبتمبر

العنوان	المؤلف	المرجع
حديث العدد	محمود المسعدى	1944 ، ص 9 . س 1 ، ع 8 ، نوفمبر 1944 ، ص 10 .
حديث القيامة	محمود المسعدى	س 1 ، ع 5 ، أوت 1944 ، ص 7 .
حديث الكلب	محمود المسعدى	س 1 ، ع 8 ، نوفمبر 1944 ، ص 9 .
الحلاق	محمد بكير	س 1 ، ع 2 ، ماي 1944 ، ص 8 .
حياة الانسان	كسافى مريش ترجمة محسن بن حميدة	س 3 ، ع 25 ، افريل 1946 ، ص 10 .
دهليز الاغراء	فولتين ترجمة المجلة	س 2 ، ع 13 ، افريل 1945 ، ص 9 .
راعى النجوم	على الدوعاجي	س 1 ، ع 3 ، جويلية 1944 ، ص 8 .
الرماد	محمد العريبي	س 1 ع 10 ، جانفى 1945 ، ص 7 .
السندباد والطهارة	محمود المسعدى	س 4 ، ع 42 - 43 ، سبتمبر - اكتوبر 1947 ، ص 8 .
الشاعر	ايتزوك بيروترز ترجمة محسن بن حميدة	س 3 ، ع 29 - 30 ، أوت - سبتمبر 1946 ، ص 16 .
الشعور بالحياة	محسن بن حميدة	س 4 ، ع 40 ، جويلية 1947 ، ص 7 .
فنان	محمد البشروش	ع 1 من السلسلة الاولى، جانفى 1938 ، ص 12 .

العنوان	المؤلف	المرجع
القربان	فوستاف فلوبار	س 1 ، ع 1 ، افريل 1944 ، ص 8 .
مولد النسيان	ترجمة المجلة محمود السعدى	س 2 ، ع 13 ، افريل 1945 ، ص 8 ؛ ع 14 ، ماى 1945 ، ص 10 ؛ ع 15 ، جوان 1945 ، ص 10 ؛ ع 16 ، جويلية 1945 ، ص 10 .
نزهة رائقة	على الدوعاجى	س 3 ، ع 27 - 28 ، جوان - جويلية 1946 ، ص 37 .
نسخة ذلك كذلك	أبو حاتم	س 4 ، ع 41 ، أوت 1947 ، ص 9 .
وفد الحريف	الصادق مازيغ	س 2 ، ع 19 ، اكتوبر 1945 ، ص 10 .
الوليمة	أحمد عبد الوهاب بكير	س 2 ، ع 14 ، ماى 1945 ، ص 11 .
ياكل الدنيا ويتسحر بالآخرة	محمد بكير	س 2 ، ع 24 ، مارس 1946 ، ص 8 .

(*) صدر من مجلة المباحث 45 عددا على فترتين ، الاولى سنة 1938 ، وصدر فيها عددان فقط بإدارة محمد البشروش مؤسسها . ثم انقطعت المجلة عن الصدور ، ورجعت فى مرحلتها الثانية - سلسلة جديدة - بداية من شهر افريل 1944 بإدارة محمد البشروش أيضا ، الذى يقى يديرها الى ان توفى سنة 1944 ، فاصبح مديرها منذ عددها التاسع سنة 1944 محمود السعدى . وتواصل صدورها حتى سنة 1947 ، اذ صدر آخر عدد منها فى سبتمبر - اكتوبر 1947 .

المحتوى

العدد الثالث - جويلية 1979 - المجلد الحادى عشر

3	قصص	أصدير
5	أحمد ممو	موسى يفتال النهر
8	ابراهيم بن مراد	سواشى حوشية هل حادث وحشى
15	محسن بن ضياف	ثلاث رسائل الى امرأة واحدة
20	حياة بن الشيخ	لمهزلة بقية
27	محمد الهادى المطوى	قراءة نقدية فى « أعمدة من دخان »
54	نور الدين بن بلقاسم	أبو ثعلب
58	محمد الحموسى الخناشى	التأهيدة والاستاذ
69	نزار عبد الجبار	حفلة تخرج بثوب أبيض
71	زهير العلاف	مذكرات جندى فى ليلة واحدة
75	جلول عزونة	انطباعات قصصية
90	فاتح عبد السلام	المصورة
92	قصص	مسرد القصة التونسية

انتهى طبع هذه المجلة بمطبعة « الشركة التونسية لفنون الرسم »

فى شهر سبتمبر 1979 - تحت عدد 831 / 79

الايداع القانونى - الثلاثة الاشهر الثالثة لـ : 1979